

قِيامُ الليل

تأليف

أ.د. محمد بن إبراهيم بن سليمان الرومي

الأستاذ في كلية التربية بجامعة الملك سعود

قيام الليل

تأليف

أ. د. محمد بن إبراهيم بن سليمان الرومي

الأستاذ في كلية التربية بجامعة الملك سعود


ⓗ دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الرومي، محمد إبراهيم سليمان

قيام الليل/ محمد إبراهيم سليمان الرومي – الرياض ١٤٣٤هـ

١٥٥ ص؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك: ٤-٣١-٨١٢٤-٦٠٣-٩٧٨

١. قيام الليل أ. العنوان

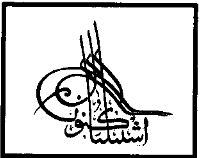
ديوي ٢٥٢،٢٩ ١٤٣٤/٢٣٤١

رقم الإيداع: ١٤٣٤/٢٣٤١

ردمك: ٤-٣١-٨١٢٤-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م

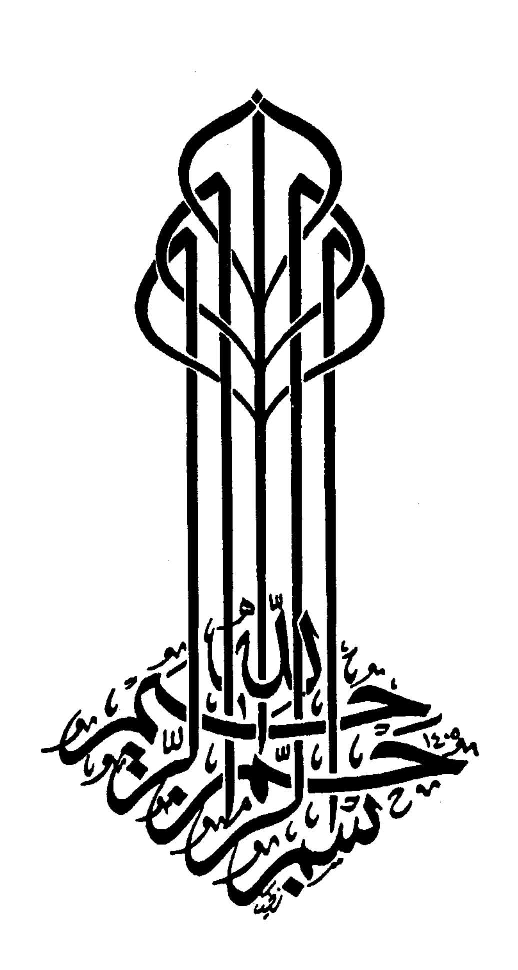


دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨– ٤٧٧٣٩٥٩ – ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠

E-mail: eshbelia@hotmail.com



مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خير النبيين وسيد المرسلين، اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى من اتبعه واقتفى أثره إلى يوم الدين وبعد

فإن قيام الليل هو دقائق الليل الغالية، وهو مدرسة المُخلصين، كيف لا وهو جنَّة الله في أرضه للمؤمنين؟ الليل هو بداية الدعوات، ومنه يَستمد الدُّعاة وقودَ دعوتهم. وفي الليل تُسْكَب العَبَرات، وفي الليل يُتَقَرَّب إلى الله بأحسن الطاعات، الليل للمُذنبين وللذين هم لِما عند ربِّهم طامعين، فهو أنيسُ الطائعين، وأمَلُ المُذنبين، وبالليل يتمُّ لقاء المُحبِّين، الليل يَعشقه الراكعون والساجدون والذاكرون، والذين هم لربِّهم مُستغفرون، الليل فيه آيات للذين هم يسمعون، الليل للذين هم بالخيرات مُسارعون، وهو خلوة التائبين، في الليل أقربُ ما يكون الله من عباده المؤمنين، بهذا نطَقَ سيِّد المُرسلين، وفي الليل يَغفر الله للمُسيئين، ويُعطي المحتاجين والسائلين من خزائن السموَات والأرَضين، ويُجيب المُضطرين، الليل فقط يَعرفه المُتيقِّظون، ويَغفل عنه أصحاب المُجون اللاهون، ولا يَستطيعه إلاَّ عباد الله المُخلصون، هو كَنز المُدَّخرين إلى يوم الدين، وبالليل يُحصَّل الأمانُ للخائفين، في الليل تَجري العيون، ويَتسابق فيه المُتسابقون؛ هو للذين عن النار يَبتعدون، وللجنان يتقرَّبون، قيام الليل فَقِهه سلفُنا الأوَّلون، فأين الذين هم من بعدهم للسَّباق يهرعون، وعن الدنيا وزينتها يبتعدون، ومن الفتن لا يَقتربون، أصحاب الليل جُنوبُهم عن المَضاجع تَجافَت، وقلوبهم عن مطامع الدنيا تناءَت، وهِمَمهم عن سفاسف الأمور ارْتَفَعت، تَراهم باكين مُخبتين.

وقيام الليل هو دأب الصالحين، وتجارة المؤمنين، وعمل الفائزين، ففي

الليل يخلو المؤمنون بربهم، ويتوجهون إلى خالقهم وبارئهم، فيشكون إليه أحوالهم، ويسألونه من فضله، فنفوسهم قائمة بين يدي خالقها، عاكفة على مناجاة بارئها، تتنسم من تلك النفحات، وتقتبس من أنوار تلك القربات، وترغب وتتضرع إلى عظيم العطايا والهبات.

وهذا البحث قد اجتهدت أن أبرز فيه قيام الليل في ضوء النصوص الشرعية من الكتاب والسنة، وقد جاء البحث في مقدمة وسبعة مباحث وخاتمة وفهارس.

المبحث الأول: مشروعية قيام الليل والحثّ عليه.

المبحث الثاني: فضل قيام الليل.

المبحث الثالث: هدي النبي ﷺ في قيام الليل.

المبحث الرابع: هدي الصحابة رضي الله عنهم والتابعين في قيام الليل.

المبحث الخامس: آداب وأحكام قيام الليل.

المبحث السادس: الأسباب الميسرة لقيام الليل.

المبحث السابع: فوائد وآثار قيام الليل.

وقد حرصت في بيان ذلك أن أعتمد على نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، وأقوال العلماء وشروحهم، وما أثر عن السلف الصالح رحمهم الله تعالى. وما كان من صواب فمن الله وما كان من نقص أو تقصير فمني، ومن الشيطان.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المبحث الأول

مشروعية قيام الليل والحث عليه

إن قيام الليل من الأعمال الصالحة المهمة في حياة المسلم، التي بها يتقرب إلى الله تعالى؛ ولقد اقتضت حكمةُ العليم الخبير أن يَخْلقَ الجنةَ والنارَ ويخلق لكلٍّ أهلاً؛ فأهلُ الجنَّة هم أهلُ الطَّاعة والإيمان، وأهلُ النَّارِ هم أهلُ الكفرِ والفسوقِ والعصيانِ؛ وذلك غايةُ العدل من الله؛ فما كان اللهُ ليُضيعَ إيمانَ المؤمنين ويُهملَ الكفارَ دونَ عقاب ولا جزاء.

ولكنَّ اللهَ – سبحانه – إذ خلق جنَّته وجعل لدخولها عملاً، جعل هذا العملَ ميسورًا سهلاً، وهو كذلك لمن يَسَّره اللهُ عليه وأَخَذَ بأسبابه؛ أمَّا مَن اتَّبعَ هواه واقتفى أثرَ الشَّيطان وتمنَّى على الله الأمانيَّ، فليس بميسور إلا أن يتوبَ إلى الله ويحاربَ الشَّيطانَ بكلِّ الوسائل التي يستطيعها.

والعملُ الصالحُ ينقسمُ قسمين:

قسمٌ لا ينفكُّ المسلمُ عنه؛ فلا بدَّ من الإتيانِ به، ولا يُعذَرُ المرءُ بتركه، وهذا عليه المعوَّلُ في دخول الجنة والنجاة من النار؛ وذلك كالإيمان بالله سبحانه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، وإقامة الصَّلاة وإيتاء الزَّكاة وصوم رمضان وحجِّ بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً.

وقسمٌ يأتي به المسلمُ على قَدْر طاقته، وليس بمكلَّفٍ به حتمًا، ولا يأثمُ بتركه؛ وإنما يزدادُ بفعله عند الله قُربًا، وجزاءُ هذا العمل الازديادُ في الأجر والثَّواب والارتقاءُ في درجات الجنَّة؛ فإنَّها درجاتٌ ما بين الدَّرجة والتي تليها كما بين السَّماء والأرض.

وهذا القسمُ يتمثَّلُ في النَّوافل والسُّننِ ومكارم الأخلاق، وقد قَدَّمَ اللهُ القسمَ الأولَ على الثَّاني، وجعلَ القُرْبَ من الله لا يكون إلا به، ثم يزدادُ

بالثَّاني محبةً وقربةً) (١).

وقد بَيَّنَ ذلك الحديثُ النبويُّ القدُسيُّ الصحيحُ الذي يرويه المصطفى ﷺ عن ربّه فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ عز وجلّ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطُشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ)) (٢).

قال ابن بطال رحمه الله: (وفى حديث أبى هريرة ﷺ من معنى الباب أن التقرب إلى الله بالنوافل حتى تستحق المحبة منه تعالى لا يكون ذلك إلا بغاية التواضع والتذلل له. وفيه أن النوافل إنما يزكو ثوابها عند الله لمن حافظ على فرائضه وأداها. ورأيت لبعض الناس أن معنى قوله تعالى: (فأكون عينيه اللتين يبصر بهما وأذنيه ويديه ورجليه) قال: وجه ذلك أنه لا يحرك جارحة من جوارحه إلا في الله ولله، فجوارحه كلها تعمل بالحق، فمن كان كذلك لم تُردّ له دعوة) (٣).

إن الأعمال الصالحة تقرب إلى الله عزّ وجل، والإنسان يشعر هذا بنفسه إذا قام بعبادة الله على الوجه الأكمل من الإخلاص والمتابعة وحضور القلب أحس بأنه قَرُبَ من الله عزّ وجل. وهذا لا يدركه إلا الموفقون وشعور العبد

---

(١) الإبانة عن أسباب الإعانة على صلاة الفجر وقيام الليل، رقية بنت محمد المحارب ص ٦، ٧، ط/١، دار بن خزيمة، الرياض.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: التواضع، برقم ٦١٣٧.

(٣) شرح صحيح البخارى، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم ٢١٢/١٠، ط/٢، مكتبة الرشد، الرياض: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

بقربه من الله لاشك أنه سيؤثر في سيره ومنهجه. وأوامر الله عزّ وجل قسمان: فريضة، ونافلة. والنافلة: الزائد عن الفريضة، ووجه هذا التقسيم قوله ﷺ في الحديث: "وَمَا تَقَرَّبَ إِلِيَّ عَبْدِيْ بِشَيءٍ أَحَبَّ إِلِيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ. ولا يَزَالُ عَبْدِيْ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ". وكثرة النوافل سبب لمحبة الله عزّ وجل، لأن: (حتى) للغاية، فإذا أكثر العبد من النوافل فإنه يبشر بمحبة الله له.

وإذا أحب الله عبداً أجاب مسألته وأعطاه ما يسأل وأعاذه مما يكره، فيحصل له المطلوب ويزول عنه المرهوب. يحصل له المطلوب في قوله: "وَلَئِنْ سَأَلَنِيْ لأُعْطِيَنَّهُ" ويزول المرهوب في قوله: "وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ".

ومن المعلوم أن الإنسان إذا تهاون بالنوافل فإنه يتهاون بالفرائض، والنوافل هي كالسياج وكالوقاية للفرائض، فينبغي أن لا يحصل تساهل فيها وتهاون، بل يؤدي الإنسان الفرائض ويأتي بالنوافل، والنوافل تكمل بها صلاة الفرض إذا حصل فيها نقص، فعلى الإنسان أن يحافظ على الفرائض ويحرص على النوافل، وقد قال الله عز وجل في الحديث القدسي: ((وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ))(١).

ومن المعلوم أن الاقتصار على الفرائض هو الاقتصاد، ولكن السبق بالخيرات يكون بالإتيان بالواجبات وبالمفروضات وبالمنافسة في الخير وبالإتيان بالنوافل التي يتقرب بها العبد إلى الله عز وجل، فالإنسان عليه أن يحرص على الفرائض ويحرص على النوافل، ولا يتهاون بالنوافل؛ لأن التهاون بالنوافل قد يؤدي إلى التهاون بالفرائض،

قال ابن رجب رحمه الله: (ومعرفة الله أيضاً لعبده نوعان:

معرفة عامة وهي علمه سبحانه بعباده، واطّلاعه على ما أسرّوه

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: التواضع، برقم ٦١٣٧.

وما أعلنوه، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾(١). وقال سبحانه: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾(٢).

والثاني: معرفة خاصة: وهي تقتضي محبته لعبده وتقريبه إليه، وإجابة دعائه، وإنجاءه من الشدائد، وهي المشار إليها بقوله ﷺ فيما يحكى عن ربِّه: ((وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطُشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ)) (٣).

ولما هرب الحسنُ من الحجاج دخلَ إلى بيت حبيب أبي محمد، فقال له حبيب: يا أبا سعيد، أليس بينك وبينَ ربِّك ما تدعوه به فيَسترك مِنْ هؤلاء؟ ادخل البيتَ، فدخل، ودخل الشُّرَطُ على أثره، فلم يروْهُ، فذُكِرَ ذلك للحجاج، فقال: بل كان في البيت، إلا أنَّ الله طَمَسَ أعينهم فلم يروه. واجتمع الفضيلُ بنُ عياض بشعوانة العابدة، فسألها الدُّعاءَ، فقالت: يا فضيلُ، وما بينَك وبينَه، ما إنْ دعوته أجابك، فغُشِيَ على الفضيل، وقيل لمعروف: ما الذي هيَّجك إلى الانقطاع والعبادة – وذكر له الموت والبرزخ والجنَّة والنار – ؟ فقال معروف: إنَّ ملكاً هذا كله بيده إنْ كانت بينك وبينه معرفةٌ كفاك جميع هذا.

وفي الجملة: فمن عامل الله بالتقوى والطاعة في حال رخائه، عامله الله باللطف والإعانة في حال شدَّته. ولمَّا ذكر أنَّ معاداة أوليائه محاربةٌ له، ذكر بعد ذلك وصفَ أوليائه الذين تحرُم معاداتُهم، وتجب موالاتُهم، فذكر

---

(١) سورة ق، الآية: ١٦.

(٢) سورة النجم، الآية: ٣٢.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: التواضع، برقم ٦١٣٧.

ما يتقرَّب به إليه، وأصلُ الولاية: القربُ، وأصلُ العداوة: البعدُ، فأولياء الله هُمُ الذين يتقرَّبون إليه بما يقرِّبهم منه، وأعداؤه الذين أبعدهم عنه بأعمالهم المقتضية لطردهم وإبعادهم منه، فقسم أولياءه المقربين إلى قسمين:

أحدهما: من تقرَّب إليه بأداء الفرائض، ويشمل ذلك فعل الواجبات، وتركَ المحرَّمات؛ لأنَّ ذلك كُلَّه من فرائضِ اللهِ التي افترضها على عباده.

والثاني: من تقرَّب إليه بعدَ الفرائضِ بالنوافل، فظهر بذلك أنَّه لا طريق يُوصِلُ إلى التقرُّب إلى الله تعالى، وولايته، ومحبته سوى طاعته التي شرعها على لسان رسوله، فمنِ ادَّعى ولايةَ الله، والتقرُّب إليه، ومحبَّته بغير هذه الطريق، تبيَّن أنَّه كاذبٌ في دعواه فلذلك ذكرَ في هذا الحديث أنَّ أولياء الله على درجتين:

أحدهما: المتقرِّبُون إليه بأداءِ الفرائض، وهذه درجة المقتصدين أصحاب اليمين، وأداء الفرائض أفضلُ الأعمال كما قال عمرُ بنُ الخطاب ﷺ: أفضلُ الأعمال أداءُ ما افترضَ اللهُ، والورَعُ عمّا حرَّم الله، وصِدقُ النيّة فيما عند الله – عز وجل – وقال عمرُ بنُ عبد العزيز ﷺ في خطبته: أفضلُ العبادة أداءُ الفرائض، واجتنابُ المحارم، وذلك لأنَّ الله – عز وجل – إنَّما افترض على عباده هذه الفرائض لِيُقربهم منه، ويُوجِبَ لهم رضوانه ورحمته.

الدرجة الثانية: درجةُ السابقين المقرَّبين، وهُمُ الذين تقرَّبوا إلى الله بعدَ الفرائض بالاجتهاد في نوافل الطاعات، والانكفافِ عن دقائقِ المكروهات بالورَعِ، وذلك يُوجبُ للعبدِ محبَّة اللهِ، كما قال: ((ولا يزالُ عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنوافِلِ حتّى أُحبَّه))، فمن أحبه الله، رزقه محبَّته وطاعته والاشتغالَ بذكره وخدمته، فأوجبَ له ذلك القرب منه، والزُّلفى لديه، والحظْوة عنده) [1].

إن قيام اللّيل شريعة ربانية، وسنة نبوية، فهو من أفضل النوافل التي

(١) جامع العلوم والحكم، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي ١٧/٢، ط/١، دار المعرفة، بيروت: ١٤٠٨هـ.

يتقرب بها العبد إلى ربه، ومن رحمة الله - تعالى - أن شرَّعَ لنا النَّوافلَ لتكملَ ما في الفرائض من نقص، ولتزيد في الموازين من الحسنات، فجعل اللهُ للفرائض من جنسها نوافل؛ فالصلاةُ - وهي عمود الدين - جعلَ اللهُ لها نوافلَ تكملها؛ فأفضلُ الصَّلاة بعدَ المكتوبة قيامُ اللَّيْل، ومن الذي يدَّعي أنَّ فرائضَه قد كمُلت حتى يستغني عن التَّنَفُّل؟! فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: ((إنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ النَّاسُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الصَّلاَةُ قَالَ يَقُولُ رَبُّنَا جَلَّ وَعَزَّ لِمَلاَئِكَتِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ انْظُرُوا فِي صَلاَةِ عَبْدِى أَتَمَّهَا أَمْ نَقَصَهَا فَإِنْ كَانَتْ تَامَّةً كُتِبَتْ لَهُ تَامَّةً وَإِنْ كَانَ انْتَقَصَ مِنْهَا شَيْئًا قَالَ انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِى مِنْ تَطَوُّعٍ فَإِنْ كَانَ لَهُ تَطَوُّعٌ قَالَ أَتِمُّوا لِعَبْدِى فَرِيضَتَهُ مِنْ تَطَوُّعِهِ ثُمَّ تُؤْخَذُ الأَعْمَالُ عَلَى ذَاكُمْ))(١).

إن قيام الليل سنة مؤكدة(٢)، ثابتة بالكتاب والسنة، وإجماع الأمة، ولعظم شأن صلاة الليل قال الله لنبيه ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾﴾(٣).

قال الطبري رحمه الله: (يعني بقوله: (يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ) هو الملتفّ بثيابه.وإنما عني بذلك نبيّ الله ﷺ. واختلف أهل التأويل في المعنى الذي وصف الله به نبيه ﷺ

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الصلاة، باب: قَوْلِ النَّبِىِّ ﷺ « كُلُّ صَلاَةٍ لاَ يُتِمُّهَا صَاحِبُهَا تَتِمُّ مِنْ تَطَوُّعِهِ »، برقم ٨٦٤، وقال الشيخ الألباني: صحيح انظر: صحيح سنن أبي داود حديث رقم ٨١٠.

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، جمع وإشراف: د. محمد بن سعد الشويعر ١١/٢٩٦، ط/١، دار القاسم للنشر، الرياض: ١٤٢٠هـ.

(٣) سورة المزمل، الآيات: ١-٨.

في هذه الآية من التزمُّل، فقال بعضهم: وصفه بأنه مُتَزمل في ثيابه، متأهب للصلاة. وقال آخرون: وصفه بأنه متزمّل النبوّة والرسالة. والمراد قم يا محمد الليل كله (إلا قَلِيلا) منه (نِصْفَهُ) يقول: قم نصف الليل (أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ) يقول: أو زد عليه؛ خَيره الله تعالى ذكره حين فرض عليه قيام الليل بين هذه المنازل أي ذلك شاء فعل، فكان رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم فيما ذُكر يقومون الليل، نحو قيامهم في شهر رمضان فيما ذُكر حتى خفف ذلك عنهم) [(١)].

وقال ابن كثير رحمه الله: (يأمر تعالى رسوله ﷺ أن يترك التزمل، وهو: التغطي في الليل، وينهض إلى القيام لربه عز وجل، كما قال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[(٢)]. وكذلك كان رسول الله ﷺ ممتثلاً ما أمره الله تعالى به من قيام الليل، وقد كان واجبًا عليه وحده، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾[(٣)]. وهاهنا بين له مقدار ما يقوم، فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلا قَلِيلا ﴾ قال ابن عباس، والضحاك، والسدي: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴾ يعني: يا أيها النائم. وقال قتادة: المزمل في ثيابه، وقال إبراهيم النخعي: نزلت وهو متزمل بقطيفة. والغرض أن ناشئة الليل هي: ساعاته وأوقاته، وكل ساعة منه تسمى ناشئة، وهي الآنات. والمقصود أن قيام الليل هو أشد مواطأة بين القلب واللسان، وأجمع على التلاوة؛ ولهذا قال: ﴿ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلا ﴾ أي: أجمع للخاطر في أداء القراءة وتفهمها من قيام النهار؛ لأنه وقت

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: : أحمد محمد شاكر ٦٧٦/٢٣، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠ هـ/٢٠٠٠م.

(٢) سورة السجدة، الآية: ١٦.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

انتشار الناس ولَغَط الأصوات وأوقات المعاش) (١).

وبين القرطبي رحمه الله سرّ الخطاب بيا أيها المزمل فقال: (وفي خطابه بهذا الاسم فائدتان: إحداهما الملاطفة، فإن العرب إذا قصدت ملاطفة المخاطب وترك المعاتبة سموه باسم مشتق من حالته التي هو عليها، كقول النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه حين غاضب فاطمة رضي الله عنها، فأتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب فقال له: (قم يا أبا تراب) إشعاراً له أنه غير عاتب عليه، وملاطفة له. وكذلك قوله ﷺ لحذيفة رضي الله عنه: (قم يا نومان) وكان نائماً ملاطفة له، وإشعاراً لترك العتب والتأنيب؛ فقول الله تعالى لمحمد ﷺ: يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ فيه تأنيس وملاطفة، ليستشعر أنه غير عاتب عليه. والفائدة الثانية– التنبيه لكل متزمل راقد ليله ليتنبه إلى قيام الليل وذكر الله تعالى فيه، لأن الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل من عمل ذلك العمل واتصف بتلك الصفة) (٢).

وقال الشيخ السعدي رحمه الله: (فأمره هنا بأشرف العبادات، وهي الصلاة، وبآكد الأوقات وأفضلها، وهو قيام الليل. ومن رحمته تعالى، أنه لم يأمره بقيام الليل كله، بل قال: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلا قَلِيلا﴾ ثم قدر ذلك فقال: ﴿نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ﴾ أي: من النصف ﴿قَلِيلا﴾ بأن يكون الثلث ونحوه. ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ أي: على النصف، فيكون الثلثين ونحوها. ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلا﴾ فإن ترتيل القرآن به يحصل التدبر والتفكر، وتحريك القلوب به، والتعبد بآياته، والتهيؤ والاستعداد التام له، فإنه قال: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلا ثَقِيلا﴾ أي: نوحي إليك هذا القرآن الثقيل، أي: العظيمة معانيه، الجليلة أوصافه، وما كان بهذا الوصف، حقيق أن يتهيأ له، ويرتل، ويتفكر فيما يشتمل عليه.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة ٢٤٩/٨، ط/٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش ٣٣/١٩، ط/دار الكتب المصرية، القاهرة: ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

ثم ذكر الحكمة في أمره بقيام الليل، فقال: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ أي: الصلاة فيه بعد النوم ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ أي: أقرب إلى تحصيل مقصود القرآن، يتواطأ على القرآن القلب واللسان، وتقل الشواغل، ويفهم ما يقول، ويستقيم له أمره، وهذا بخلاف النهار، فإنه لا يحصل به هذا المقصود، ولهذا قال: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ أي: ترددا على حوائجك ومعاشك، يوجب اشتغال القلب وعدم تفرغه التفرغ التام. ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ شامل لأنواع الذكر كلها ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ أي: انقطع إلى الله تعالى، فإن الانقطاع إلى الله والإنابة إليه، هو الانفصال بالقلب عن الخلائق، والاتصاف بمحبة الله، وكل ما يقرب إليه، ويدني من رضاه) (١).

وهذه الآية ترتب عليها خلاف بين العلماء في فرضية قيام الليل على الرسول ﷺ وعلى الأمة، أم نسخ الفرض والوجوب وصار ندباً.

قال أبو بكر الجصاص رحمه الله: (قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ روى زرارة بن أوفى عن سعد بن هشام قال قلت لعائشة انبئيني عن قيام رسول الله ﷺ قالت أما تقرأ هذه السورة ﴿يا أَيُّهَاالْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾. قلت: بلى قالت: فإن الله افترض القيام في أول هذه السورة فقام النبي ﷺ وأصحابه حتى انتفخت أقدامهم وأمسك الله تعالى خاتمتها اثنى عشر شهرا ثم أنزل التخفيف في آخر السورة فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة وقال ابن عباس لما نزلت أول المزمل كانوا يقومون نحو قيامهم في شهر رمضان حتى نزل آخرها وكان بين نزول أولها وآخرها نحو سنة.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق ص ٨٩٢، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

قال أبو بكر لا خلاف بين المسلمين في نسخ فرض قيام الليل وأنه مندوب إليه مرغب فيه وقد ثبت عن النبي ﷺ آثار كثيرة في الحث عليه والترغيب فيه)(١).

وقال القرطبي رحمه الله: (واختلف: هل كان قيامه فرضاً وحتماً، أو كان ندباً وحضاً؟ والدلائل تقوي أن قيامه كان حتماً وفرضاً، وذلك أن الندب والحض لا يقع على بعض الليل دون بعض، لأن قيامه ليس مخصوصاً به وقتاً دون وقت. وأيضا فقد جاء التوقيت بذلك عن عائشة وغيرها. واختلف أيضا: هل كان فرضا على النبي ﷺ وحده، أو عليه وعلى من كان قبله من الأنبياء، أو عليه وعلى أمته؟ ثلاثة أقوال: الأول قول سعيد بن جبير لتوجه الخطاب إليه خاصة. الثاني قول ابن عباس، قال: كان قيام الليل فريضة على النبي ﷺ وعلى الأنبياء قبله. الثالث قول عائشة وابن عباس أيضا وهو الصحيح، كما في صحيح مسلم عن زرارة بن أوفى أن سعد بن هشام بن عامر أراد أن يغزو في سبيل الله.. الحديث، وفيه:

((أنبئيني عن قيام رسول الله ﷺ فقالت ألست تقرأ يا أيها المزمل؟ قلت بلى قالت فإن الله عز و جل افترض قيام الليل في أول هذه السورة فقام نبي الله ﷺ وأصحابه حولا وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهرا في السماء حتى أنزل الله في آخر هذه السورة التخفيف فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة)) (٢).)(٣).

وقال الكيا هراسي رحمه الله: (قوله تعالى: (قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا)، روي أن النبي ﷺ قام هو وأصحابه حتى انتفخت أقدامهم، وأمسك الله خاتمتها اثني عشر

(١) أحكام القرآن للجصاص، أحمد بن علي المكني بأبي بكر الرازي الجصاص، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي ٣٦٦/٥، ط/دار احياء التراث العربى، بيروت: ١٤٠٥هـ.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض، برقم ٧٤٦.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش ٣٤/١٩.

شهرا، ثم أنزل الله تعالى التخفيف في آخر السورة، فكان قيام الليل تطوعا بعد كونه فريضة، وقوله تعالى: (فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنَ القُرآنِ) فنسخ به قيام الليل المفروض فكان ندباً) (١).

وجاء في روائع البيان في تفسير آيات الأحكام ما نصه:

(وظاهر قوله تعالى: ﴿ قُمِ اليلَ إلاَّ قَلِيلاً ﴾ أن التهجد كان فريضة عليه ﷺ وأنّ فرضيته كانت خاصة به، ومما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾ ﴾(٢). فإنّ قوله: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ بعد الأمر بالتهجد ظاهر في أن الوجوب من خصائصه ﷺ وليس معنى النافلة في هذه الآية ما يجوز فعله وتركه، فإنه على هذا الوجه لا يكون خاصاً به ﷺ، بل معنى كونه التهجد نافلة له أنه شيء زائد على ما هو مفروض على سائر الأمة.

وقد كان المؤمنون يصلون مع الرسول ﷺ حتى ورمت أقدامهم وسوقهم من القيام، فنسخ الله تعالى ذلك بقوله في آخر السورة: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ﴿٢٠﴾ ﴾(٣).

---

(١) أحكام القرآن، أبو الحسن علي بن محمد (المعروف بالكيا هراسي)، تحقيق: موسى محمد علي، عزت عبده عطية ٤/٤٢٧، ط/دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٥هـ.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

(٣) سورة المزمل، الآية: ٢٠.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: وكان بين أول هذا الإيجاب وبين نسخه سنة. وقال جماعة من المفسّرين: ليس في القرآن سورة نسخَ آخرُها أوّلَها سوى هذه الآية) (١).

وقد فند الآراء المختلفة حول أمر النبي ﷺ بقيام الليل الشيخ محمد علي السايس فقال رحمه الله: (وحاصل المعنى أنه ﷺ مأمور بأن يقوم من الليل للتهجد، وأنّ اللّه خيّره أن يقوم نصف الليل، وأن ينقص من النصف مقدارا قليلاً، وأن يزيد على ذلك النصف، ولم تقيد الزيادة على النصف بالقلّة، كما قيّد النقص بها، لأنّ الزيادة الكثيرة لا تخلّ بالأمر، بل فيها زيادة برّ وعمل صالح. أمّا النقص الكثير عن النصف فعلى خلاف ذلك، إذ إنّه مخلّ بالمطلوب.

وظاهر توجيه الخطاب إلى النبي ﷺ وأمره بقيام الليل مع ندائه بالوصف الخاصّ به – وهو التزمل – أنّ التهجد كان فريضة عليه، وأنّ فرضيته كانت خاصة به. وإلى هذا ذهب جمع من العلماء، قالوا: وهو الذي يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾ ﴾ (٢). فإنّ قوله: ﴿نافِلَةً لَكَ﴾ بعد الأمر بالتهجد ظاهر في أن الوجوب من خصائصه ﷺ، وليس معنى النافلة في هذه الآية ما يجوز فعله وتركه، فإنّه على هذا الوجه لا يكون خاصا به ﷺ، بل معنى كون التهجد نافلة له ﷺ أنّه شيء زائد على ما هو مفروض على غيره من الأمة.

وذهب جماعة آخرون إلى أنّ وجوب التهجد كان ثابتا في حقّ الأمة أيضا، مستندين إلى قوله تعالى في آخر السورة التي معنا ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ﴾ فإنه يدلّ على أنّ الصحابة

---

(١) روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، محمد بن علي الصابوني ٦٠٨/١، ط/٣، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت: ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠م.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

كانوا يقومون من الليل كما كان يقوم النبي ﷺ أدنى من ثلثيه ونصفه وثلثه، وإنه قد خفّف اللّه عنهم جميعا بأمرهم بالقيام على حسب ما يتيسر لهم.

وقال بعض الناس: إنّ التهجد لم يكن مفروضاً لا على النبي ﷺ، ولا على أحد من أمته، واحتجّوا على ذلك بما يأتي:

١ – ظاهر قوله تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾ ﴾[1]. فإنه يفيد أنّ التهجد زيادة لم تتعلق بها الفرضية.

٢ – أنّ الأمر في قوله تعالى: ﴿قُمِ اللَّيْلَ﴾ وقوله جلّ شأنه: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ﴾ لا يفيد الوجوب، وحمله على الندب أولى، لأنّا وجدنا أوامر الشريعة تارة تفيد الوجوب، وتارة تفيد الندب، فينبغي حمل ما يرد منها على القدر المشترك بينهما، وهو ترجيح جانب الفعل على جانب الترك، دفعا للتجوّز والاشتراك اللفظي وإذا كان الأمر كذلك كان الثابت معنى الندب، لأن تمام معنى الواجب – وهو عدم جواز الترك – لا بدّ له من دليل آخر، كالتوعد على الترك، أو قرينة أخرى تدل على ذلك، وهو غير متوفّر في الأمرين السابقين، فبقي الترك على أصله، وهو الجواز.

والجواب يعلم مما تقرر في علم الأصول، وهو أنّ المختار في الأوامر حملها على الإلزام، إلا أن يصرف عن ذلك صارف، وهو مذهب الجمهور.

٣ – أنه تعالى ترك تقدير قيام الليل إلى النبيّ ﷺ، وخيّره بين أن يقوم نصف الليل، أو يزيد عليه، أو ينقص منه، ومثل هذا لا يكون في الواجبات، فإنّ الشأن فيها أن تعيّن وتحدّد مقاديرها، كما في المكتوبات.

والجواب: أنه لا مانع من ذلك. وقد عهد في الشريعة أن يفرض اللّه على المكلف أحد أمور معينة، بحيث لا يجوز له الإخلال بها جميعا، ثم إذا فعل

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

واحدا منها كان قائما بما وجب عليه، فيكون قيام الليل مفروضا، بحيث لا ينقص كثيرا عن النصف، فإذا قام المكلف في الليل قريبا من نصفه فقد حصل الواجب، وإذا زاد إلى النصف أو أكثر منه كان محصّلا للواجب من باب أولى)(١).

ثم قال رحمه الله معقباً على الأقوال الثلاثة السابقة: (وبعد فهذه أقوال ثلاثة قد عرفت مآخذها، وعرفت الردّ على ما استدل به أصحاب القول الثالث. والذي يستخلص من ذلك أنّ أرجح الأقوال هو الثاني، وهو القول بأنّ التهجد كان فريضة على النبيّ ﷺ وعلى أمته، إذ هو الذي يمكن أن تأتلف عليه النصوص القرآنية السابقة. ويشهد له ما تقدّم من الآثار عن ابن عباس وعائشة وغيرهما. واما بقاء وجوب التهجد وعدمه، وفي تعيين الناسخ على القول بعدم البقاء.

فللعلماء في ذلك أربعة أقوال:

الأول: نقل عن الحسن وابن سيرين وابن جبير ما يفيد القول ببقاء وجوب التهجد على الناس جميعا، وأنّ أصل وجوب القيام لم ينسخ، وإنما الذي نسخ هو وجوب قيام جزء مقدّر من الليل لا ينقص كثيرا عن النصف على ما علمت.

القول الثاني: أنّه نسخ عن النبي ﷺ وعن أمته بآخر سورة المزمّل، واستبدل به قراءة القرآن على ما يعطيه ظاهر قوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ﴾(٢).

القول الثالث: أنّ وجوب التهجد استمر على النبي ﷺ وعلى الأمة، حتى نسخ بالصلوات الخمس ليلة المعراج.

(١) تفسير آيات الأحكام، محمد علي السايس ص ٨٠٧، ط/المكتبة العصرية للطباعة والنشر، القاهرة: ٢٠٠٢م.

(٢) سورة المزمل، الآية: ٢٠.

القول الرابع: أنّه نسخ عن الأمة وحدها، وبقي وجوبه على رسول اللّه ﷺ على ما يعطيه ظاهر آية الإسراء: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾ ﴾(١).

ولعلّ الراجح هو هذا القول الأخير، كما أنّ الظاهر أنّ نسخ التهجد لم يحصل دفعة واحدة، فإنّ آخر سورة المزمل يفيد نسخ المقدار الذي بيّن في أولها، ولا يلزم من هذا نسخ وجوب التهجد من أصله، والظاهر أيضا أنّ هذا كله بالنظر للأمة، فأما النبي ﷺ فإنّ آية الإسراء المدنية تدلّ على أنّ وجوب التهجد قد بقي عليه من بعد هذا، وأنّه استمر وجوبه عليه لم ينسخ إلى آخر حياته ﷺ لعدم ما يدلّ على ذلك النسخ، وهذا هو الذي يشهد له ما تقدّم لك عن ابن عباس أنه يقول: سقط قيام الليل عن أصحاب رسول اللّه ﷺ وصار تطوعا، وبقي ذلك فرضا على رسول اللّه ﷺ.

ويشهد له أيضا ما صحّ أنه ﷺ لم يدع قيام الليل حضرا ولا سفرا، وأنه كان إذا شغله عن قيام الليل نوم أو وجع صلّى من النهار اثني عشر ركعة. فإنّ مواظبة الرسول ﷺ على قيام الليل في الحضر والسفر، وقضاءه ما فاته من ذلك بعذر النوم أو المرض دليل على استمرار فرضية القيام عليه ﷺ)(٢).

ومن الآيات التي تؤكد على أهمية قيام الليل، وتحث عليه قوله سبحانه للنبي ﷺ: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾ ﴾(٣).

قال الطبري رحمه الله: (يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد ﷺ ومن الليل فاسهر بعد نومة يا محمد بالقرآن، نافلة لك خالصة دون أمتك. والتهجد: التيقظ والسهر بعد نومة من الليل)(٤).

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

(٢) تفسير آيات الأحكام، محمد علي السايس، ص ٨١٠.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر ٥٢٣/١٧.

وقال ابن كثير رحمه الله: (وقوله: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ ﴾ أمر له بقيام الليل بعد المكتوبة، ولهذا أمر تعالى رسوله بعد المكتوبات بقيام الليل، فإن التهجد: ما كان بعد نوم. وكذلك ثبتت الأحاديث عن رسول الله ﷺ: أنه كان يتهجد بعد نومه، واختلف في معنى قوله: ﴿ نَافِلَةً لَكَ ﴾ فقيل: معناه أنك مخصوص بوجوب ذلك وحدك، فجعلوا قيام الليل واجبًا في حقه دون الأمة. وقيل: إنما جعل قيام الليل في حقه نافلة على الخصوص؛ لأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وغيرهُ من أمته إنما يكفر عنه صلواته النوافل الذنوب التي عليه، وقوله: ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾ أي: افعل هذا الذي أمرتك به، لنقيمك يوم القيامة مقاماً يحسدك فيه الخلائق كلهم وخالقهم، تبارك وتعالى) (١).

وقال الشيخ أبو بكر الجزائري: (وقوله: ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك﴾ أي صلاة زائدة على الفرائض الخمس وهي قيام الليل، وهو واجب عليه ﷺ بهذه الآية، وعلى أمته مندوب إليه، مرغوب فيه. وقوله: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ عسى من الله تفيد الوجوب، ولذا فقد أخبر تعالى رسوله مبشراً إياه بأن يقيمه يوم القيامة ﴿مقاماً محموداً﴾ يحمده عليه الأولون والآخرون. وهو الشفاعة العظمى حيث يتخلى عنها آدم فمن دونه. . حتى تنتهي إليه ﷺ فيقول: أنا لها، أنا لها، ويأذن له ربه فيشفع للخليفة في ضل القضاء، ليدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، وتستريح الخليقة من عناء الموقف وطوله وصعوبته) (٢).

---

(١) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة ١٠٣/٥.

(٢) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، الشيخ أبو بكر جابر الجزائري ٣٦١/٢، ط/٣، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة: ١٤١٨ هـ/١٩٩٧م.

ومن الآيات أيضاً قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ ﴾(١).

قال القاسمي رحمه الله: (وقوله: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ أي: بدعائه وتسبيحه والصلاة له ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ﴾أي: بالتهجد فيه ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً﴾ أي: مقداراً طويلاً، نصفه أو زيادة عليه. وفي هذه الأوامر، مع الأمر في أول المزمّل وأمثالها ما يدل على العناية بقيام الليل والحرص عليه. والقصد حثه ﷺ أن يستعين في دعوة قومه والصدع بما أمر به، بالصبر على أذاهم والصلاة والتسبيح وقد كثر ذلك في مواضع من التنزيل العزيز)(٢).

وحث النبي ﷺ على قيام الليل فمن حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل))(٣).

قال النووي رحمه الله: (قوله ﷺ: (وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل) فيه دليل لما اتفق العلماء عليه أن تطوع الليل أفضل من تطوع النهار، وفيه حجة لأبي إسحاق المروزي من أصحابنا ومن وافقه أن صلاة الليل أفضل من السنن الراتبة، وقال أكثر أصحابنا: الرواتب أفضل، لأنها تشبه الفرائض، والأول أقوى وأوفق للحديث. والله أعلم) (٤).

---

(١) سورة الإنسان، الآيات: ٢٣ – ٢٦.

(٢) محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم القاسمي تحقيق: محمد باسل عيون السود ٢٥٣/٩، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٨هـ.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: الصيام، باب: فضل صوم المحرم، برقم ١١٦٣ .

(٤) شرح صحيح مسلم، محي الدين زكريا بن شرف النووي ١٨٥/٤، ط/دار الحديث، القاهرة: ٢٠٠٤م.

وقال المباركفوري رحمه الله: (قال الطيبي: ولعمري إن صلاة التهجد لو لم يكن فيها فضل سوى قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾(١). وقوله سبحانه: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٌ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾(٢).

وغيرهما من الآيات لكفاه مزية – انتهى. وتأول الحديث من ذهب إلى أفضلية الرواتب بأنه إنما أريد به تفضيل قيام الليل على التطوع المطلق دون السنن الرواتب التي قبل الفرض وبعده. قالوا: وقوله "بعد الفريضة" أي وتوابعها من السنن المؤكدة. وقال بعضهم: المراد صلاة الليل أفضل من الرواتب من حيثية المشقة والكلفة، والبعد من الرياء والسمعة مطلقاً. والراجح عندي: ما ذهب إليه أبوإسحاق المروزي لموافقته لنص حديث الباب) (٣).

وقال ابن علان رحمه الله: (وقوله: (وأفضل الصلاة) من النفل المطلق (بعد الفريضة صلاة الليل) لأنه وقت السكون والخشوع والخضوع مع ما فيه من البعد عن الرياء) (٤).

إن أفضل عبادات البدن: الصلاة، فهي تجمع من القرَب ما لا يجمع غيرها، من الطهارة واستقبال القبلة، والقراءة، وذكر الله عز وجل، والصلاة

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

(٢) سورة السجدة، الآيتان: ١٦، ١٧.

(٣) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الشيخ أبو الحسن عبيدالله بن محمد عبدالسلام المباركفوري ٧/ ٩٠ ط/مصورة عن طبعة إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، الجامعة السلفية، بنارس الهند.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي، تحقيق: خليل مأمون شيحا ٦/ ٤٩٥ ط/٤، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت: ١٤٢٥ هـ/٢٠٠٤ م.

على رسول الله ﷺ، ويمنع فيها من كل ما يمنع منه في سائر العبادات، وتزيد عليها بالامتناع عن الكلام، والمشي، وسائر الأفعال. وتطوعها أفضل التطوع.

وقيام الليل والمداومة عليه حثت ودعت إليه الكثير من النصوص الشرعية في القرآن والسنة، كما سبق ذكره، ومن ذلك أيضاً ما جاء عن أبي إدريس الخولاني رحمه الله عن أبي أمامة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: ((عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وهو قربة إلى ربكم، ومكفرة للسيئات ومنهاة للإثم)) (١).

وعن الحسين بن علي رضي الله عنهما أخبره أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أخبره: أن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة بنت النبي ﷺ ليلة فقال: ((ألا تصليان)). فقلت يا رسول الله أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا فانصرف حين قلنا ذلك ولم يرجع إلي شيئا ثم سمعته وهو مولٍّ يضرب فخذه وهو يقول: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ (٢).(٣). وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((أيّها النّاس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلّوا بالليل والنّاس نيام، تدخلوا الجنّة بسلام)) (٤).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كان النبي ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب: الدعوات، باب: في دعاء النبي ﷺ، برقم ٣٥٤٩، وقال الشيخ الألباني: حسن صحيح، انظر: (صحيح سنن الترمذي، الألباني ص ٨٠٦ رقم ٣٥٤٩).

(٢) سورة الكهف، الآية: ٥٤.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: أبواب التهجد، باب: تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب، برقم ١٠٧٥، وأخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: ماروي فيمن نام الليل أجمع، برقم ٧٧٥ .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ٤٥١/٥، شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين برقم ٢٣٨٣٥، وأخرجه الترمذي، كتاب: الأطعمة، باب: فضل إطعام الطعام، برقم ١٨٥٥، وقال الشيخ الألباني : صحيح (انظر: حديث رقم : ٧٨٦٥ في صحيح الجامع) .

قدماه فقلت له: لم تضع ذلك يا رسول الله وقد غَفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً»)(١).

بل لقد كان الرسول ﷺ يرشد من سأله عن أحب أعمال الخير إلى الله يرشده إلى أعمال منها قيام الليل فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخل الجنة ويباعدني من النار؟ فقال: ((لقد سألتني عن عظيم، وإنه ليسير على يسره الله عليه، تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان، وتحج البيت؟ ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل ثم قرأ: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾(٢).(٣).

ولقد وصف الرسول ﷺ من يواظب على قيام الليل بأنه نعم الرجل وهذه منقبة عظيمة ومزية جسيمة، ينبغي لكل مؤمن أن يحرص عليها: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال الرسول ﷺ: ((نعم الرجل عبد الله أي عبد الله بن عمر- لو كان يصلي من الليل!! قال سالم: فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلاً))(٤).

---

(١) أخرجه البخاري من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، كتاب: أبواب التهجد، باب: قيام النبي ﷺ حتى ترم قدماه، برقم ١٠٧٨، وأخرجه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها، كتاب: صفات المنافقين وأعمالهم، باب: إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، برقم ٢٨٢٠ .

(٢) سورة السجدة، الآيتان: ١٦، ١٧.

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب: الإيمان، باب: ما جاء في حرمة الصلاة، برقم ٢٦١٦، وقال الشيخ الألباني : صحيح انظر: صحيح سنن الترمذي ص ٥٩٠، رقم ٢٦١٦.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: أبواب التهجد، باب: فضل قيام الليل، برقم ١٠٧٠، وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما رقم ٢٤٧٩.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (وشاهد الترجمة قوله (نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل)) فمقتضاه أن من كان يصلي من الليل يوصف بكونه نعم الرجل) [١].

ومن كل ما سبق يظهر بجلاء مشروعية قيام الليل والحثّ عليه.

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الشيخ عبد العزيز بن باز، ترقيم الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقي ٣/٩، ط/١، دار الريان للتراث، القاهرة.

المبحث الثاني

فضل قيام الليل

إن قيام الليل له فضل كبير، وثواب جزيل يدركه المسلم من خلال محافظته على قيام الليل والمداومة عليه، ومن أبرز ذلك:

١/ مدْح الله تعالى لأهل قيام الليل:

فأول فضيلة من فضائل قيام الليل أنَّ الله جلَّ وعلا مدح أهله، ومن يقوم بين يديه سبحانه وتعالى في الليل، قال الله جلَّ وعلا: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾(١). هؤلاء الله سبحانه وتعالى مدحهم، جمعوا بين العبادات والقربات اللازمة والعبادات والقربات المتعدِّية، فهم يقومون الليل: هذه عبادة لازمة للشخص نفسه، وهناك العبادات المتعدِّية أي نفعها متعدٍّ: وهو الإنفاق في سبيل الله سبحانه وتعالى، فهؤلاء يجتهدون في العبادة، ويبذلون ما يستطيعون من التقرُّب إلى الله سبحانه وتعالى، ومع ذلك هم في حالة بين الخوف والرجاء، وهكذا المؤمن، المؤمن يعمل ويخاف، المنافق لا يعمل ولا يخاف.

قال ابن كثير رحمه الله: (يعني بذلك: قيام الليل، وترك النوم والاضطجاع على الفرش الوطيئة. قال مجاهد والحسن في قوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ ﴾ يعني بذلك: قيام الليل. وعن أنس رضي الله عنه، وعكرمة، ومحمد بن المُنْكَدِر، وأبي حازم، وقتادة: هو الصلاة بين العشاءين.

وعن أنس رضي الله عنه أيضًا: هو انتظار صلاة العتمة. وقال الضحاك: هو صلاة العشاء في جماعة، وصلاة الغداة في جماعة.﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾

---

(١) سورة السجدة، الآيتان: ١٦، ١٧.

أي: خوفًا من وبال عقابه، وطمعًا في جزيل ثوابه، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾، فيجمعون بين فعل القربات اللازمة والمتعدية، ومقدم هؤلاء وسيدهم وفخرهم في الدنيا والآخرة رسول الله ﷺ، كما قال عبد الله بن رَوَاحة رضي الله عنه:

وَفِينَا رَسُولُ اللّٰهِ يَتْلُو كِتَابَه   إذَا انْشَقَّ مَعْرُوفٌ مِنَ الصُّبْحِ سَاطِعُ

أرَانَا الهُدَى بَعْدَ العَمَى فَقُلُوبُنَا   بِهِ مُوقِنَاتٌ أنَّ مَا قَالَ وَاقِعُ

يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ   إذَا اسْتَثْقَلَتْ بالْمُشْرِكِينَ المَضَاجِعُ[1]

وقال الشيخ السعدي رحمه الله: (أي: ترتفع جنوبهم، وتنزعج عن مضاجعها اللذيذة، إلى ما هو ألذ عندهم منه وأحب إليهم، وهو الصلاة في الليل، ومناجاة اللّه تعالى. ولهذا قال: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ أي: في جلب مصالحهم الدينية والدنيوية، ودفع مضارهما. ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ أي: جامعين بين الوصفين، خوفًا أن ترد أعمالهم، وطمعًا في قبولها، خوفًا من عذاب اللّه، وطمعًا في ثوابه. ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ من الرزق، قليلا كان أو كثيرًا ﴿يُنْفِقُونَ﴾ ولم يذكر قيد النفقة، ولا المنفق عليه، ليدل على العموم، فإنه يدخل فيه، النفقة الواجبة، كالزكوات، والكفارات، ونفقة الزوجات والأقارب، والنفقة المستحبة في وجوه الخير، والنفقة والإحسان المالي، خير مطلقًا، سواء وافق غنيًا أو فقيرًا، قريبًا أو بعيدًا، ولكن الأجر يتفاوت، بتفاوت النفع، فهذا عملهم.

وأما جزاؤهم، فقال: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ﴾ يدخل فيه جميع نفوس الخلق، لكونها نكرة في سياق النفي. أي: فلا يعلم أحد ﴿مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ من الخير الكثير، والنعيم الغزير، والفرح والسرور، واللذة والحبور،

---

(١) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ٣٦٣/٦.

فكما صلوا في الليل، ودعوا، وأخفوا العمل، جازاهم من جنس عملهم، فأخفى أجرهم) (١).

وقد بين الشيخ محمد الطاهر بن عاشور مدح الله تعالى للمحافظين على قيام الليل، والثواب الذي أعده لهم فقال رحمه الله: (والتجافي: التباعد والمتاركة. والمعنى: أن تجافي جنوبهم عن المضاجع يتكرر في الليلة الواحدة، أي: يكثرون السهر بقيام الليل والدعاء لله؛ وقد فسره النبي ﷺ بصلاة الرجل في جوف الليل، كما في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخل الجنة ويباعدني من النار؟ فقال: ((لقد سألتني عن عظيم، وإنه ليسير على يسره الله عليه، تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان، وتحج البيت؟ ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل ثم قرأ: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾(٢).(٣). و﴿الْمَضَاجِعِ﴾: الفرش جمع مضجع، وهو مكان الضجع، أي: الاستلقاء للراحة والنوم. وهذا تعريض بالمشركين إذ يمضون ليلهم بالنوم لا يصرفه عنهم تفكر بل يسقطون كما تسقط الأنعام. ثم عظم الله جزاءهم إذ قال ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾، أي: لا تبلغ نفس من أهل الدنيا معرفة ما أعد الله لهم فدل على أن المراد بـ ﴿نَفْسٌ﴾ في

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ص ٦٥٥ .

(٢) سورة السجدة، الآيتان: ١٦، ١٧.

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب: الإيمان، باب: ما جاء في حرمة الصلاة، برقم ٢٦١٦، وقال الشيخ الألباني : صحيح انظر: صحيح سنن الترمذي ص ٥٩٠، رقم ٢٦١٦..

هذه الآية أصحاب النفوس البشرية فإن مدركات العقول منتهية إلى ما تدركه الأبصار من المرئيات من الجمال والزينة، وما تدركه الأسماع من محاسن الأقوال ومحامدها ومحاسن النغمات، وإلى ما تبلغ إليه المتخيلات من هيئات يركبها الخيال من مجموع ما يعهده من المرئيات والمسموعات مثل الأنهار من عسل أو خمر أو لبن، ومثل القصور والقباب من اللؤلؤ، ومثل الأشجار من زبرجد، والأزهار من ياقوت، وتراب من مسك وعنبر، فكل ذلك قليل في جانب ما أعد لهم في الجنة من هذه الموصوفات ولا تبلغه صفات الواصفين لأن منتهى الصفة محصور فيما تنتهي إليه دلالات اللغات مما يخطر على قلوب البشر وعبر عن تلك النعم بـ ﴿مَا أُخْفِيَ﴾ لأنها مغيبة لا تدرك إلا في عالم الخلود. وقرة الأعين: كناية عن المسرة) (١).

٢/ قيام الليل من علامات المتَّقين:

ومن فضائل قيام الليل أنه من علامات المتقين الذين وعدهم الله تعالى بالجنة يقول ربُّنا جلَّ في علاه: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (٢).

قال الشيخ أبو بكر الجزائري: (أي إن الذين اتقوا ربهم فلم يشركوا به ولم يعصوه بترك الواجبات ولا بفعل المحرمات هؤلاء يوم القيامة في بساتين وعيون تري في تلك البساتين وقوله ﴿آخذين ما آتاهم ربهم﴾ أي ما أعطاهم ربهم من ثواب هو نعيم مقيم في دار السلام. ثم ذكر تعالى مقتضيات هذا العطاء العظيم والثواب الجزيل فقال ﴿إنهم كانوا قبل﴾ دخولهم الجنة ﴿محسنين﴾ في الدنيا فأحسنوا نياتهم وأعمالهم اخلصوها لله ربهم وأتوا بها

---

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ٢١/ ١٦١، ط/١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت: ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

(٢) سورة الذاريات، الآيات: ١٥-١٨.

وفق ما ارتضاه وشرعه لعباه زيادة ولا نقصان كما أحسنوا إلى عباده ولم يسيئوا إليهم بقول ولا عمل هذا موجب وآخرأتهم ﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون﴾ أي لا ينامون من الليل إلا قليلاً إذا أكثر الليل يقضونه في الصلاة وهو التهجد وقيام الليل وبالأسحار أي وفي السدس الاخير من الليل هم يستغفرون أي يقولون ربنا اغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار) [١].

إن هؤلاء الأيقاظ في جنح الليل والناس نيام، المتوجهون إلى ربهم بالاستغفار والاسترحام لا يطعمون الكرى إلا قليلا، ولا يهجعون في ليلهم إلا يسيرا. يأنسون بربهم في جوف الليل فتتجافى جنوبهم عن المضاجع، ويخف بهم التطلع فلا يثقلهم المنام! كابدوا قيام الليل، فلا ينامون من الليل إلا أقله، ونشطوا فمدوا إلى السحر، حتى كان الاستغفار بسحر.

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: قال رجل من بني تميم لأبي: يا أبا أسامة صفة لا أجدها فينا. ذكر الله تعالى قوما فقال: «كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ». ونحن والله قليلا من الليل ما نقوم! فقال له أبي ﷺ: طوبى لمن رقد إذا نعس، واتقى الله إذا استيقظ. فهي حال يتطلع إليها رجال من التابعين – ذوي المكانة في الإيمان واليقين – ويجدون أنفسهم دونها. اختص بها ناس ممن اختارهم الله، ووفقهم إلى القيام بحقها. وكتبهم بها عنده من المحسنين. وهذه حالهم مع ربهم

قال أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله: (قوله تعالى: ﴿آخذين﴾ قال الزجاج: هو منصوب على الحال، فالمعنى: في جنّات وعيون في حال أخذ ﴿ما آتاهم ربُّهم﴾ قال المفسرون: أي: ما أعطاهم اللهُ من الكرامة ﴿إنَّهم كانوا قبلَ ذلك محسِنين﴾ في أعمالهم. وفي الآية وجه آخر: «آخذين ما آتاهم ربُّهم» أي: عاملين بما أمرهم به من الفرائض «إنهم كانوا قبلَ» أن تفرض الفرائض عليهم،

---

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، الشيخ أبو بكر جابر الجزائري ٤/ ١٤٠.

«محسِنِين» أي: مطيعين، ثم ذكر إحسانهم فقال: ﴿كانوا قليلاً من الليل ما يَهجعون﴾ والهُجوع: النَّوم بالليل دون النهار. وفي «ما» قولان. أحدهما: النفي. ثم في المعنى قولان. أحدهما: كانوا يسهرون قليلاً من الليل. قال أنس بن مالك، وأبو العالية: هو ما بين المغرب والعشاء.

والثاني: كانوا ما ينامون قليلاً من الليل. واختار قوم الوقف على قوله «قليلاً» على معنى كانوا من الناس قليلاً، ثم ابتدأ فقال: «من الليل ما يهجعون» على معنى نفي النوم عنهم البتَّة، وهذا مذهب الضحاك، ومقاتل. والقول الثاني: أن «ما» بمعنى الذي، فالمعنى: كانوا قليلاً من الليل الذي يهجعونه) (١).

قال أبوحيان الأندلسي رحمه الله: (ولما ذكر حال الكفار، ذكر حال المؤمنين، وانتصب آخذين على الحال، أي قابليه راضين به، وذلك في الجنة. وقال ابن عباس: آخِذِينَ: أي في دنياهم، ما آتاهُمْ رَبُّهُمْ من أوامره ونواهيه وشرعه، فالحال محكية لتقدمها في الزمان على كونهم في الجنة. والظاهر أن قَلِيلًا ظرف، وهو في الأصل صفة، أي كانوا في قليل من الليل. وفسر أنس بن مالك رضي الله عنه ذلك فقال: كانوا يتنفلون بين المغرب والعشاء، ولا يدل لفظ الآية على الاقتصار على هذا التفسير. وقال الربيع بن خيثم: كانوا يصيبون من الليل حظا. وقال مطرف، ومجاهد، وابن أبي نجيح: قلّ ليلة أتت عليهم هجوعاً كلها. وقال الحسن: كابدوا قيام الليل لا ينامون منه إلا قليلا. وقال الضحاك: كانُوا قَلِيلًا، أي في عددهم.

ومن الليل يدل على أنهم مشغولون بالعبادة في أوقات الراحات، وسكون الأنفس من مشاق النهار. ﴿وَبِالْأَسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، فيه ظهور على أن تهجدهم يتصل بالأسحار، فيأخذون في الاستغفار مما يمكن أن يقع فيه

---

(١) زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ٤٢٠/٥، ط/٣، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٤هـ.

تقصير وكأنهم أجرموا في تلك الليالي، والأسحار مظنة الاستغفار. وقال ابن عمرو الضحاك: يستغفرون: يصلون. وقال الحسن: يدعون في طلب المغفرة، والظاهر أن قيام الليل وهذا الحق في المال هو من المندوبات، وأكثر ما تقع زيادة الثواب بفعل المندوب) (١).

٣/ قيام الليل من صفات عباد الرحمن:

ومن فضل قيام الليل أن الله عز وجل جعله من صفات عباد الرحمن قال الله تعالى في وصفهم: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ ﴾(٢).

قال السيوطي رحمه الله: (قوله ﴿وعباد الرحمن﴾ قال: هم المؤمنون ﴿الذين يمشون على الأرض هونا﴾ قال: بالطاعة والعفاف والتواضع. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله ﴿يمشون على الأرض هونا﴾ قال: علماء حكماء. وعن الحسن ﴿يمشون على الأرض هونا﴾ قال: يمشون حلماء متواضعين لا يجهلون على أحد وإن جهل عليهم جاهل لم يجهلوا، هذا نهارهم اذا انتشروا في الناس ﴿والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما﴾ قال: هذا ليلهم اذا خلوا بينهم وبين ربهم. قال: الحسن والهون في كلام العرب: اللين والسكينة والوقار ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ قال: حلماء لا يجهلون وان جهل عليهم حلموا، يصاحبون عباد الله نهارهم مما تسمعون، ثم ذكر ليلهم خير ليل قال: ﴿والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما﴾ ينتصبون لله على أقدامهم ويفترشون وجوههم سجدا لربهم تجري دموعهم على خدودهم خوفا من ربهم، قال

---

(١) تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل ٥٥٢/٩، ط/١، دار الفكر- بيروت: ١٤٢٠ هـ.

(٢) سورة الفرقان، الآيات: ٦٣-٦٥.

الحسن: لأمر ما سهر ليلهم ولأمر ما خشع نهارهم) (١).

وقال الشيخ السعدي رحمه الله:

(العبودية لله نوعان: عبودية لربوبيته فهذه يشترك فيها سائر الخلق مسلمهم وكافرهم، برهم وفاجرهم، فكلهم عبيد لله مربوبون مدبرون ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ ﴾(٢).

وعبودية لألوهيته وعبادته ورحمته وهي عبودية أنبيائه وأوليائه وهي المراد هنا ولهذا أضافها إلى اسمه " الرحمن " إشارة إلى أنهم إنما وصلوا إلى هذه الحال بسبب رحمته، فذكر أن صفاتهم أكمل الصفات ونعوتهم أفضل النعوت، فوصفهم بأنهم ﴿يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا﴾ أي: ساكنين متواضعين لله والخلق فهذا وصف لهم بالوقار والسكينة والتواضع لله ولعباده. ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ﴾ أي: خطاب جهل بدليل إضافة الفعل وإسناده لهذا الوصف، ﴿قَالُوا سَلامًا﴾ أي: خاطبوهم خطابا يسلمون فيه من الإثم ويسلمون من مقابلة الجاهل بجهله. وهذا مدح لهم، بالحلم الكثير ومقابلة المسيء بالإحسان والعفو عن الجاهل ورزانة العقل الذي أوصلهم إلى هذه الحال.

﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ أي: يكثرون من صلاة الليل مخلصين فيها لربهم متذللين له كما قال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾(٣). وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: مركز هجر للبحوث ١١/٢٠٣، ط/دار هجر، مصر: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٢) سورة مريم، الآية: ٩٣.

(٣) سورة السجدة، الآيتان: ١٦، ١٧.

جَهَنَّمَ﴾ أي: ادفعه عنا بالعصمة من أسبابه ومغفرة ما وقع منا مما هو مقتض للعذاب. ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ أي: ملازما لأهلها بمنزلة ملازمة الغريم لغريمه. ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ وهذا منهم على وجه التضرع لربهم، وبيان شدة حاجتهم إليه وأنهم ليس في طاقتهم احتمال هذا العذاب، وليتذكروا منة الله عليهم، فإن صرف الشدة بحسب شدتها وفظاعتها يعظم وقعها ويشتد الفرح بصرفها) (١).

إن عباد الرحمن سيرتهم في الليل كسيرتهم في النهار، فنهارهم خير نهار، وليلهم خير ليل، فإذا أمسوا أو أدركوا الليل باتوا ساجدين قائمين لربهم، يصلّون بعض الليل أو أكثره، طائعين عابدين.

وإن هذه الآية والآيات التي بعدها، تعرض الصفات الكريمة التي يتصف بها أولئك الذين استحقوا أن يضافوا إلى اللّه سبحانه، وأن يحسبوا في عباده، أما غيرهم ممن لا يتحلّون بهذه الصفات، فإنهم ليسوا أهلا لهذا المقام ولا موضعا لهذا الشرف العظيم. . وأن هؤلاء الذين قيل لهم اسجدوا للرحمن فأنكروا هذا، وقالوا: وما الرحمن ؟ ـ هؤلاء ليسوا من عباد الرحمن، ولن يكونوا من عباده، ما داموا على حالهم تلك.

(أما عباد الرحمن الذين يستحقون هذا الشرف العظيم، فهم هؤلاء الذين جاءت تلك الآيات، تكشف عن صفاتهم التي يتحّلون بها، والتي تؤهلهم لهذا المقام الكريم. . وهذه الصفات التي يتحلّى بها عباد الرحمن، هى أنهم « يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً. . وَإِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً ». والمشي الهيّن على الأرض، هو دليل على التواضع، ولين الجانب، وسماحة الخلق. . بخلاف المشي الذي يضرب وجه الأرض، تيها وفخرا، وقد نهى اللّه تعالى عنه وعباد

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ص ٥٨٦ .

الرحمن لا يلقون فحش القول وهجره، بفحش، وهجر مثله. . فإذا رماهم السفهاء بالكلمة الخبيثة أعرضوا عنهم، ومن صفات عباد الرحمن أن قلوبهم لا تخلو من ذكر اللّه أبدا ، وأنهم يقضون نهارهم في كفاح وعمل، فإذا جهّم الليل أقبلوا على ربّهم بالعبادة والذكر، راكعين ساجدين. . والليل هو أنسب الأوقات للعبادة، ومناجاة اللّه سبحانه وتعالى، حيث تسكن النفوس، وتجتمع الخواطر، وتهدأ القلوب، فيجد الإنسان منطلقه في عالم الروح، وقد انزاحت من طريقه السدود التي يقيمها ضجيج الحياة، ولغط الأحياء أثناء النهار. . وقد نوه القرآن الكريم في أكثر من موضع بشأن العبادة في أوقات الليل، وما للعابدين عند اللّه في تلك الأوقات، من رضا ورضوان، وفي قوله تعالى: « لِرَبِّهِمْ » - إشارة إلى أنهم يقصرون عملهم كله بالليل على ذكر اللّه، لا يذكرون إلا اللّه جلّ وعلا ، لا يشغلهم شيء عن ذكره. . فاللام هنا للاختصاص) [١].

٤/ المحافظون على قيام الليل لا يستوون مع غيرهم:

ومن فضائل قيام الليل أنّهم لا يستوون عند اللّه مع غيرهم من غير المحافظين، فلا يستوي من قام وحافظ على صلاة الليل، وانقطع للعبادة مع من أضاع الليل في النوم، والغفلة عن أوقات الطاعة، وقد جاءت الإشارة إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [٢].

أي أهذا الذي يمكر باللّه، فإذا أصابه ضرّ لجأ إليه، وإذا كشف الضرّ عنه نسى ربه، ومرّ كأن لم يدعه إلى ضرّ مسّه - أهذا ، أم ذلك الذي هو على ذكر دائم لربه في السراء والضراء جميعا ؟. . أهذا الذي لا يذكر ربه إلا عند

---

(١) التفسير القرآني للقرآن، د. عبد الكريم الخطيب، ط/١، دار الفكر العربي، القاهرة، ٥٧/١٠.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٩ .

الشدّة، أم هذا القانت في محراب صلاته بين يدى ربه، القائم في ولاء وخشوع، يقطع الليل ساجدا، وقائما، وهو بين خوف من عذاب اللّه، وطمع في رحمته. . فإذا ذكر عذاب اللّه طلب السلامة من هذا العذاب بالاستغفار، وإذا ذكر رحمة اللّه، أنس بالرجاء في مغفرته ورضوانه فلهج بالحمد والشكر؟. . أيستوى هذا الحامد الشاكر في السرّاء والضراء، وهذا الجاحد الغافل؟

(وفى توقيت القنوت بالليل، إشارة إلى المعاناة التي يجدها المؤمن في طاعة ربه، حيث يهجر النوم بالليل ويقهر سلطانه. . وفى هذا يقول اللّه تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦﴾(1). ويقول سبحانه في الثناء على عبّاد الليل، وما لهم من جزاء عظيم عنده: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝١٥ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ۝١٦ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾(2).

وكان مقتضى السياق أن تجىء المفاضلة بين المؤمن والكافر، أو بين من يذكر اللّه ومن لا يذكره، فيقال مثلاً: هل يستوى المؤمنون والكافرون ؟ أو هل يستوى من يذكر اللّه ويشكر له، ومن يكفر باللّه ويمكر به ؟.

ولكن جاءت المفاضلة بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون، للإشارة إلى أن العلم، هو الذي تقوم عليه قيم الناس، وتثقل أو تخفّ به موازينهم، في أي أمر من أمور الدنيا، أو الدين. . ففى الإيمان باللّه، تكون التفرقة بين المؤمن وغير المؤمن قائمة أساسا على العلم وعدم العلم، فمن آتاه اللّه علما، انكشف له بالعلم الطريق إلى اللّه، فآمن واتّقى. . وإنه بقدر علمه يكون مبلغ إيمانه وتقواه، ومن جهل، فمن أين تأتيه المعرفة بربه ؟ ومن أين يقع في قلبه الخشوع لجلاله والولاء لسلطانه، والخشية من بأسه وعقابه، وهو لا يعرف للّه جلالا،

(1) سورة الليل، الآية: ٦ .

(2) سورة الذاريات، الآيات: ١٥-١٨.

ولا سلطانا ولا بأسا ؟.

وليس المراد بالعلم هنا، هو العلم النظري التجريدى، وإن كان لهذا العلم خطره وأثره، في توسيع المدارك، وشحذ الملكات، وإنما المراد هو العلم الذي يجلو عمى البصائر، ويرفع الغشاوة عن القلوب. فهذا العلم هو ثمرة كل علم نافع، وحصيلة كل معرفة طيبة. وقوله تعالى: « إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ » - هو تعقيب على هذا الحكم الذي تضمنه قوله تعالى: « قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ » الذي يفرق بين من يعلم ومن لا يعلم. فمن علم، كان ذا لبّ وفهم، وكان على بصيرة من أمره، فيتذكر ويتدبر، ويهتدى إلى الحقّ، وإلى سواء السبيل. ومن جهل، كان في ضلال وعمى، فلا يقف عند عبرة، ولا يلتفت إلى موعظة، بل يمضى في طريق الضلالة إلى غايته)(١).

إن كل متاع في هذه الأرض قليل مهما طال. وأيام الفرد على هذه الأرض معدودة مهما عمر. بل إن حياة الجنس البشري كله على الأرض لمتاع قليل، حين يقاس إلى أيام الله! وإلى جانب هذه الصورة النكدة من الإنسان، يعرض صورة أخرى. صورة القلب الخائف الوجل، الذي يذكر الله ولا ينساه في سراء ولا ضراء والذي يعيش حياته على الأرض في حذر من الآخرة وفي تطلع إلى رحمة ربه وفضله وفي اتصال بالله ينشأ عنه العلم الصحيح المدرك لحقائق الوجود: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ ﴾(٢).

وهي صورة مشرقة مرهفة. فالقنوت والطاعة والتوجه - وهو ساجد وقائم - وهذه الحساسية المرهفة - وهو يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه - وهذا الصفاء وهذه الشفافية التي تفتح البصيرة. وتمنح القلب نعمة الرؤية والالتقاط

---

(١) التفسير القرآني للقرآن، د. عبد الكريم الخطيب، ١١٢٩/١٢.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٩.

والتلقي. هذه كلها ترسم صورة مشرقة وضيئة من البشر تقابل تلك الصورة النكدة المطموسة التي رسمتها الآية السابقة. فلا جرم يعقد هذه الموازنة: «قُلْ: هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ؟». فالعلم الحق هو المعرفة. هو إدراك الحق. هو تفتح البصيرة. هو الاتصال بالحقائق الثابتة في هذا الوجود.

وليس العلم هو المعلومات المفردة المنقطعة التي تزحم الذهن، ولا تؤدي إلى حقائق الكون الكبرى، ولا تمتد وراء الظاهر المحسوس.

قال الرازي رحمه الله: (القانت القائم بما يجب عليه من الطاعة، وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: لا أعلم القنوت إلا قراءة القرآن وطول القيام وتلا ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ﴾ وعن ابن عباس رضي الله عنهما: القنوت طاعة الله، وعن قتادة أَمَّنْ هُوَ ساعات الليل أوله ووسطه وآخره وفي هذه اللفظة تنبيه على فضل قيام الليل وأنه أرجح من قيام النهار ويؤكده وجوه الأول أن عبادة الليل أستر عن العيون فتكون أبعد عن الرياء الثاني أن الظلمة تمنع من الإبصار ونوم الخلق يمنع من السماع فإذا صار القلب فارغاً عن الاشتغال بالأحوال الخارجية عاد إلى المطلوب الأصلي وهو معرفة الله وخدمته الثالث أن الليل وقت النوم فتركه يكون أشق فيكون الثواب أكثر.

واعلم أن هذه الآية دالة على أسرار عجيبة فأولها: أنه بدأ فيها بذكر العلم وختم فيها بذكر العلم أما العمل فكونه قانتاً ساجداً قائماً وأما العلم فقوله ﴿هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ وهذا يدل على أن كمال الإنسان محصور في هذين المقصودين فالعمل هو البداية والعلم والمكاشفة هو النهاية

الفائدة الثانية: أنه تعالى نبه على أن الانتفاع بالعمل إنما يحصل إذا كان الإنسان مواظباً عليه فإن القنوت عبارة عن كون الرجل قائماً بما يجب عليه من الطاعات وذلك يدل على أن العلم إنما يفيد إذا واظب عليه الإنسان وقوله

﴿سَاجِداً وَقَائِماً﴾ إشارة إلى أصناف الأعمال) (١).

وقد نفى الله تعالى التسوية بين أهل الكتاب فمنهم أمة قائمة ساجدة قانتة لله، وقد قال الله تعالى في بيان ذلك: ﴿ لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ (٢).

قال ابن كثير رحمه الله: (أي: لا يستوي من تقدم ذكرهم بالذم من أهل الكتاب [وهؤلاء الذين أسلموا، ولهذا قال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ أي: ليسوا كلُّهم على حَدّ سواء، بل منهم المؤمن ومنهم المُجْرم، ولهذا قال تعالى: ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ] أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ أي: قائمة بأمر الله، مطيعة لشَرْعه مُتَّبِعة نبيَّ الله، فهي﴿قَائِمَةٌ ﴾ يعني مستقيمة ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ أي: يقومون الليل، ويكثرون التهجد، ويتلون القرآن في صلواتهم ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ولا يضيع عند الله عملكم الصالح بل يجزيكم به أوفر الجزاء. والله لا يخفى عليه عمل عامل، ولا يضيع لديه أجر من أحسن عملا) (٣).

وقال الشيخ السعدي رحمه الله: (لما بين تعالى الفرقة الفاسقة من أهل

---

(١) مفاتيح الغيب، الإمام: محمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازي ٢١٨/٢٦، ط/دار إحياء التراث العربى، بيروت، بدون تاريخ.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ١١٣، ١١٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ١٠٥/٢.

الكتاب وبين أفعالهم وعقوباتهم، بين هاهنا الأمة المستقيمة، وبين أفعالها وثوابها، فأخبر أنهم لا يستوون عنده، بل بينهم من الفرق ما لا يمكن وصفه، فأما تلك الطائفة الفاسقة فقد مضى وصفهم، وأما هؤلاء المؤمنون، فقال تعالى منهم ﴿ أمة قائمة ﴾ أي: مستقيمة على دين الله، قائمة بما ألزمها الله به من المأمورات، ومن ذلك قيامها بالصلاة ﴿ يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ﴾ وهذا بيان لصلاتهم في أوقات الليل وطول تهجدهم وتلاوتهم لكتاب ربهم وإيثارهم الخضوع والركوع والسجود له.

﴿ يؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ أي: كإيمان المؤمنين إيمانا يوجب لهم الإيمان بكل نبي أرسله، وكل كتاب أنزله الله، وخص الإيمان باليوم الآخر لأن الإيمان الحقيقي باليوم الآخر يحث المؤمن به على ما يقر به إلى الله، ويثاب عليه في ذلك اليوم، وترك كل ما يعاقب عليه في ذلك اليوم ﴿ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ فحصل منهم تكميل أنفسهم بالإيمان ولوازمه، وتكميل غيرهم بأمرهم بكل خير، ونهيهم عن كل شر، ومن ذلك حثهم أهل دينهم وغيرهم على الإيمان بمحمد ﷺ، ثم وصفهم بالهمم العالية ﴿و﴾ أنهم ﴿يسارعون في الخيرات﴾ أي: يبادرون إليها فينتهزون الفرصة فيها، ويفعلونها في أول وقت إمكانها، وذلك من شدة رغبتهم في الخير ومعرفتهم بفوائده وحسن عوائده، فهؤلاء الذين وصفهم الله بهذه الصفات الجميلة والأفعال الجليلة ﴿من الصالحين﴾ الذين يدخلهم الله في رحمته ويتغمدهم بغفرانه وينيلهم من فضله وإحسانه، وأنهم مهما فعلوا ﴿من خير﴾ قليلا كان أو كثيرا ﴿فلن يكفروه﴾ أي: لن يحرموه ويفوتوا أجره، بل يثيبهم الله على ذلك أكمل ثواب، ولكن الأعمال ثوابها تبع لما يقوم بقلب

صاحبها من الإيمان والتقوى) [١].

وقال القاسمي رحمه الله: (وقوله: ﴿لَيْسُواْ سَوَاء﴾ جملة مستأنفة سيقت تمهيداً للثناء على من أقبل على الحق من أهل الكتاب، وخلع الباطل ولم يراع سلفاً ولا خلفاً، أي: ليس أهل الكتاب متساوين ومتشاركين في المساوئ، ثم استأنف قوله بياناً لعدم استوائهم: ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾.

وفي قوله تعالى: ﴿قَآئِمَةٌ﴾ وجوه:

الأول: أنها قائمة في الصلاة، وعبّر عن تهجدهم بتلاوة القرآن في ساعات الليل كقوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾﴾ [٢]. وقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [٣]. وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ﴾ [٤].

الثاني: أنها ثابتة على التمسك بالدين الحق، ملازمة له، غير مضطربة في التمسك به، كقوله: ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ﴾ [٥]. أي: ملازماً للاقتضاء، ثابتاً على المطالبة.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ص ١٤٣.

(٢) سورة الفرقان، الآيات: ٦٣–٦٥.

(٣) سورة المزمل، الآيات: ١–٦ .

(٤) سورة المزمل، الآية: ٢٠.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٧٥.

الثالث: أنها مستقيمة عادلة من قولك: أقمت العود فقام، بمعنى استقام، والآناء: الأوقات، واحدها إنا مثل معى وأمعاء، وتكرير الإسناد لتقوية الحكم وتأكيده. ثم وصفهم تعالى بصفات أخر، مبينة لمباينتهم اليهود من جهة أخرى، بقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ أي: على الوجه الذي نطق به الشرع. وظاهر أن الإيمان بالله يستلزم الإيمان بجميع أنبيائه ورسله. والإيمان باليوم الآخر يستلزم الحذر من المعاصي، وهؤلاء اليهود ينكرون أنبياء الله، ولا يحترزون عن معاصي الله، فلم يحصل لهم الإيمان بالمبدأ والمعاد: ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ تعريض بمداهنة اليهود في الاحتساب، بل بتعكيسهم في الأمر بإضلال الناس وصدهم عن سبيل الله، فإنه أمر بالمنكر ونهي عن المعروف، وقوله تعالى: ﴿وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ صفة أخرى جامعة لفنون المحاسن المتعلقة بالنفس وبالغير. والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه. وفيه تعريض بتباطؤ اليهود فيها، بل بمبادرتهم إلى الشرور: ﴿وَأُوْلَئِكَ﴾ أي: المنعوتون بتلك الصفات الفاضلة: ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: من عداد من صلحت أحوالهم عند الله تعالى واستحقوا رضاه، والوصف بالصلاح دال على أكمل الدرجات. فهو غاية المدح) (١).

٥/ قيام الليل أفضل الصلاة بعد الفريضة:

ومن فضائل قيام الليل أنَّه أفضل الصلاة بعد الفريضة، جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: ﷺ: ((أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل))(٢).

والسبب أنَّ صلاة الليل أفضل من صلاة النهار – في التطوُّعات–؟ ما بينه الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله لثلاثة أمور:

---

(١) محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم القاسمي تحقيق: محمد باسل عيون السود، ١٥٣/٣.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الصيام، باب: فضل صوم المحرم، برقم ١١٦٣ .

(**أولاً**: لأنَّ فيها الإسرار فهي أقرب إلى الإخلاص، إذا أردت الإخلاص، إذا أردت أن تقوّي إخلاصك لله عزَّ وجلَّ فعليك بقيام الليل، فقيام الليل لا أحد يعلم عنك، لا أحد يدري عنك، أقرب الناس إليك لا يدري عنك، إذن هي أقرب إلى الإخلاص.

ثانيًا: ولأنَّ صلاة الليل فيها مشقّة، فيها مشقّة على النفوس؛ لأنَّ الإنسان يقوم من فراشه الدافئ الجميل ويقوم بين يدي الله سبحانه وتعالى، فهذا فيه مشقّة، فيه تعب، فيه معاناة، بينك وبين نفسك وبين شيطانك.

ثالثًا: قال: لأنَّ صلاة الليل القراءة فيها أقرب إلى التدبُّر والتفكُّر والخشوع؛ لأنَّ الإنسان بينه وبين الله سبحانه وتعالى فهو تجده يتأمَّل ما يقرأ)[1].

إن هذا الحديث دليل على فضل صلاة الليل وأنها أفضل الصلاة بعد الصلاة المفروضة، وهي أفضل من صلاة النهار، وذلك - والله أعلم - لما فيها من صفاء المناجاة، وتواطؤ القلب واللسان، وقلة الشواغل، والإخلاص، والبعد عن الرياء، لأنها في وقت الراحة والسكون ومحبة النوم، فهو شاقٌّ، إلا على الخاشعين، الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم إليه راجعون، قيام الليل كما يقول المنادي:

يا رجالَ الليل جِدُّوا ... رُبَّ داعٍ لا يُردُّ

ما يقومُ الليلَ إلا ... من له عَزْمٌ وجِدُّ

فقيام الليل ولو كان قليلاً من أهم المولدات الإيمانية، بما يضفي على صاحبه من نور الوجه، ويقظة القلب، وحلاوة الإيمان، ينبغي للمؤمنين أن يكون لهم نصيب من قيام الليل، لأن دقائق الليل غالية، فلا تُرْخَصُ بالغفلة)[2].

---

(١) لطائف المعارف فيما المواسم العام من الوظائف، الإمام الحافظ زين الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي ٤٣/١، ط/٥، دار ابن كثير: ١٤٢٠ هـ/١٩٩٩م.

(٢) منحة العلام في شرح بلوغ المرام، د. عبدالله بن صالح الفوزان ٢٣٥/١، ط/١، دار ابن الجوزي: ١٤٢٧هـ.

قال ابن عبد البر رحمه الله: (قيام الليل سنة مسنونة، لا ينبغي تركها، فطوبى لمن يُسِّرَ لها، وأُعينَ عليها، فإن رسول الله ﷺ قد عمل بها، وندب إليها) (١).

إن صلاة الليل فضلت على صلاة النهار؛ لأنها أبلغ في الإسرار وأقرب إلى الإخلاص.

ولقد كان السلف الصالح يجتهدون على إخفاء أسرارهم.

قال الحسن: كان الرجل تكون عنده زواره فيقوم من الليل فيصلي لا يعلم به زواره.

وكانوا يجتهدون في الدعاء ولا يسمع لهم صوت. وكان الرجل ينام مع امرأته على وسادة فيبكي طول ليله وهي لا تشعر؛ ولأن صلاة الليل أشق على النفوس، فإن الليل محل النوم والراحة من التعب بالنهار. فترك النوم مع ميل النفس إليه مجاهدة عظيمة. قال بعضهم: أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس.

ولأن القراءة في صلاة الليل أقرب إلى التدبر لقطع الشواغل عن القلب بالليل فيحضر القلب ويتواطأ هو واللسان على الفهم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ٦﴾ (٢).

ولهذا المعنى أمر بترتيل القرآن في قيام الليل ترتيلاً. ولهذا كانت صلاة الليل منهاة عن الإثم، ولأن وقت التهجد من الليل أفضل أوقات التطوع بالصلاة وأقرب ما يكون العبد من ربه، وهو وقت فتح أبواب السماء واستجابة الدعاء واستعراض حوائج السائلين) (٣).

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوى ومحمد عبد الكبير البكري ٢٠٩/١٣، ط/مؤسسة القرطبة.

(٢) سورة المزمل، الآية: ٦ .

(٣) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي ٣٩١/٢، ط/٢، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٢٣ هـ/٢٠٠٢م.

٦/ قيام الليل من أسباب دخول الجنة:

ومن فضائل قيام الليل أنَّ قيام الليل سببٌ من أسباب دخول الجنة، فعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:

((أيّها النّاس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلّوا بالليل والنّاس نيام، تدخلوا الجنّة بسلام)) (١). فذكر أهل العلم: أنَّ من أسباب دخول الجنة قيام الليل.

قال المباركفوري رحمه الله: (أي فإنكم إذا فعلتم ذلك ومتم عليه دخلتم الجنة آمنين لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون. وقد جاء هذا الخطاب العام بكلمات جامعة للمعاملة مع الخلق والحق

(أفشوا السلام) أي أظهروه وأكثروه على من تعرفونه وعلى من لا تعرفونه

(وأطعموا الطعام) أي لنحو المساكين والأيتام (وصلوا) أي بالليل (والناس نيام) لأنه وقت الغفلة فلأرباب الحضور مزيد المثوبة أو لبعده عن الرياء والسمعة (تدخلوا الجنة بسلام) أي من الله أو من ملائكته من مكروه أو تعب ومشقة) (٢).

وقال ابن علان الصديقي رحمه الله: (وقوله: (وصلوا) من الصلاة ولا يخفى ما بينه وبين ما قبله من الجناس الخطي (بالليل) أي تهجدوا (والناس نيام) جملة حالية من فاعل صلوا، وقوله (تدخلوا الجنة بسلام) جواب لمقدر: أي إن فعلتم ما ذكر تدخلوها متلبسين بالسلام من الآفات التي تكون في غيرها وبه سميت دار السلام على أحد الأقوال، والمراد دخولها مع الناجين، وإلا فدخولها لأهل الإيمان واجب بالوعد الذي لا يخلف. ويحتمل أن المراد مطلق دخولها مع

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٤٥١/٥، شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين برقم ٢٣٨٣٥، وأخرجه الترمذي، كتاب: الأطعمة، باب: فضل إطعام الطعام، برقم ١٨٥٥، وقال الشيخ الألباني: صحيح (انظر: حديث رقم: ٧٨٦٥ في صحيح الجامع).

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ٦٩/٥، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت.

الناجين فيكون فيه تبشير فاعل هذه الأمور بالموت على الإسلام ليكون من أهلها) [١].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في موضع آخر: (وقوله: (أيها الناس) حذف حرف النداء اختصاراً وإيماء إلى شدة التوجه لما بعده (أفشوا السلام) بقطع الهمزة: أي أشيعوه وأذيعوه بينكم (وأطعموا الطعام وصلوا بالليل) أي التهجد بأن يكون بعد نوم أو ائتوا بها فيه مطلقاً (والناس نيام) لأن هجر المصلي فراشه وآداب نفسه في طاعة ربه وحرمان نفسه لذيذ المنام شديد، فلذا جوزي من محض الفضل بقوله (تدخلوا الجنة بسلام) أي مسلمين من العذاب قبل دخولها، ففيه بشارة لفاعل مجموع ذلك بالدخول لها ابتداء والله أعلم) [٢].

وقال الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والامر بصلاة الليل في قوله "صلوا بالليل" فقد ورد تفسيره بصلاة العشاء والمراد بالناس اليهود والنصارى ويحتمل أنه أريد ذلك وما يشمل نافلة الليل وقوله "تدخلوا الجنة بسلام" إخبار بأن هذه الأفعال من أسباب دخول الجنة وكأنه بسببها يحصل لفاعلها التوفيق وتجنب ما يوبقها من الأعمال وحصول الخاتمة الصالحة) [٣].

وقد بين الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه لهذا الحديث كيف أن قيام الليل والمواظبة عليه يكون سبباً في دخول الجنة فقال: (اعلم أن خطاب الشرع إذا صدر بالنداء، دل ذلك على أهمية هذا الخطاب، لأن النداء يوجب تنبه المخاطب، فإنه فرق بين أن تقول الكلام مرسلاً وبين أن تنادي من تخاطب، فالثاني يكون أبلغ في التنبيه والانتباه.

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي، تحقيق: خليل مأمون شيحا، ١٤٤/٦.

(٢) المرجع السابق، ٤٩٤/٦.

(٣) سبل السلام، محمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني الصنعاني ٢١٠/٤، ط/٤، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة: ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م.

وقوله: (وصلوا بالليل والناس نيام) ربما كان أحسن وألذ النوم ما كان من بعد منتصف الليل إلى الفجر، فإذا قام الإنسان في هذا الوقت لله عز وجل يتهجد، يتقرب إليه بكلامه وبدعاء خاشع بين يديه، والناس نائمون فهذا من أفضل الأعمال. (صلوا بالليل والناس نيام) وهذا محل الشاهد من هذا الحديث، أن الرسول ﷺ جعل الصلاة بالليل من أسباب دخول الجنة، والثواب قال: (تدخلوا الجنة بسلام) تسلم عليك الملائكة، كما قال تعالى:

﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ (١). يهنئونهم بما صبروا وبهذا الثواب العظيم. و(تدخلوا الجنة بسلام) ظاهره أنه بلا عقاب ولا عذاب لأن من عذب لم يسلم. فهذه الأمور الثلاثة في هذا الحديث من أسباب دخول الجنة بسلام) (٢).

ومما يدل أيضاً على أن قيام الليل سبب من أسباب دخول الجنة ما جاء من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن في الجنة غُرفاً يُرى ظاهرُها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدَّها الله تعالى لمن أطعم الطعام، وألانَ الكلام، وتابع الصيام، وأفشى السلام، وصلى بالليل والناس نيام))(٣).

قال المباركفوري رحمه الله: (قوله: (إن في الجنة غرفا) جمع غرفة، أي علالي في غاية من اللطافة ونهاية من الصفاء والنظافة (ترى) بالبناء للمفعول (ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها).

---

(١) سورة الرعد، الآيتان: ٢٣، ٢٤ .

(٢) شرح رياض الصالحين، الشيخ محمد بن صالح العثيمين ١/١٣٣٧، ط/١، دار السلام، القاهرة: ٢٠٠٢م.

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب: صفة الجنة، باب: ما جاء في صفة غرف الجنة، برقم ٢٥٢٧، وقال الألباني: حسن، انظر: (صحيح سنن الترمذي ص ٥٦٩، رقم ٢٥٢٧.

لكونها شفافة لا تحجب ما وراءها. (لمن أطاب الكلام) وروي ألان. وروي: ألين كأجود على الأصل، والمعنى لمن له خلق حسن مع الأنام (وأطعم الطعام) للعيال والفقراء والأضياف ونحو ذلك (وأدام الصيام) أي أكثر منه بعد الفريضة بحيث تابع بعضها بعضا ولا يقطعها رأسا، قاله ابن الملك. وقيل أقله أن يصوم من كل شهر ثلاثة أيام، (وصلى بالليل) لله (والناس) أي غالبهم (نيام) جمع نائم أو غافلون عنه؛ لأنه عبادة لا رياء يشوب عمله ولا شهود غير الله، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾[1]. المنبئ وصفهم بذلك عن أنهم في غاية من الإخلاص لله)[2].

وقال المناوي رحمه الله: (وقوله: (إن في الجنة غرفا يرى) بالبناء للمفعول أي يرى أهل الجنة (ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها) لكونها شفافة لا تحجب ما وراءها قالوا لمن هي يا رسول الله قال (أعدها الله تعالى) أي (وصلى بالليل) أي تهجد فيه (والناس نيام) وهذا ثناء على صلاة الليل وعظم فضلها عند الله تعالى وجعل الغرفة جزاء من صلى بالليل كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾[3]. فأومأ به إلى أن المتهجد ينبغي أن يتحرى في قيامه الإخلاص ويجتنب الرياء لأن البيتوتة للرب لم تشرع إلا لإخلاص العمل لله)[4].

إن قيام الليل له فضل كبير، ويكفي المسلم هذا التحفيز بدخول الجنات، والتمتع بالنعيم المقيم.

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٦٤.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ٢٢٦/٥.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٦٤.

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد بن عبد الرؤوف بن علي المناوي ٥٨٩/٢، ط/١، دار الكتب العلمية بيروت: ١٤١٥ هـ/١٩٩٤م.

قال ابن رجب رحمه الله: (الليل منهل يرده أهل الإدارة كلهم، ويختلفون فيما يردون ويريدون، قد علم كل أناس مشربهم، فالمحب يتنعم بمناجاة محبوبه، والخائف يتضرع لطلب العفو ويبكي على ذنوبه، والراجي يلحُّ في سؤال مطلوبه، والغافل المسكين أحسن الله عزاءَه في حرمانه وفوات نصيبه) (١).

قال بعض العارفين: ليس في الدنيا شيء يشبه نعيم أهل الجنة إلا ما يجده أهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجات، فحلاوة المناجات ثواب عاجل لأهل الليل. قال أبو سليمان رحمه الله: أهل الليل في ليلتهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا، وقال الفضيل رحمه الله: إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم إنك محروم قد كثرت خطيئتك) (٢).

٧/ قيام الليل شرف المؤمن:

من فضائل قيام الليل أنَّه شرف المؤمن، فبعض الناس يظنُّ أنَّ شرفه بماله ومنصبه وأصله وفصله أو شهادته؛ إنما الصحيح أن شرف المؤمن في قيام الليل فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: جاء جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ((يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، وأحببْ من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزيٌّ به)) ثم قال: ((يا محمد شرف المؤمن قيام الليل، وعزُّه استغناؤه عن الناس))(٣).

فصرَّح النبي صلى الله عليه وسلم أنَّ قيام الليل شرف المؤمن؛ لأنَّ فيه دليل على قوَّة إخلاصه، دليل على قوَّة ثقته بالله، دليلٌ على قوَّة إيمانه، فالله عزَّ وجلَّ يرفعه

---

(١) لطائف المعارف فيما المواسم العام من الوظائف، الإمام الحافظ زين الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، ٤٣/١.

(٢) إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ٣٥٨/١، ط/١، دار المعرفة.

(٣) أخرجه الحاكم، ٣٢٥/٤، وصححه ووافقه الذهبي، وحسّن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب، ٦٤٠/١، وعزاه للطبراني في الأوسط، وأشار إلى ثبوته الهيثمي في مجمع الزوائد، ٢٥٣/٢، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٨٣١، وذكر له ثلاث طرق: عن علي، وعن سهل، وعن جابر.

ويعلي من مكانته ومنزلته عند الله سبحانه وتعالى، ولهذا سُئل الإمام الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما بال المتهجِّدين -الذين يصلُّون بالليل- وجوههم فيها النور، فيها الضياء؟ فقال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لأنَّهم خلوا بالرحمن فأعطاهم من نوره) (١).

٨/ قيام الليل يوصف من قام به بنعم الرجل:

من فضائل قيام الليل أنَّه يوصف من قام الليل بنعم الرجل، فعَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: ((كَانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا رَأَى رُؤْيَا قَصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَرَى رُؤْيَا فَأَقُصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَكُنْتُ غُلَامًا شَابًّا وَكُنْتُ أَنَامُ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي فَذَهَبَا بِي إِلَى النَّارِ فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبِئْرِ، وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ، وَإِذَا فِيهَا أُنَاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُمْ فَجَعَلْتُ أَقُولُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ قَالَ: فَلَقِيَنَا مَلَكٌ آخَرُ فَقَالَ لِي لَمْ تُرَعْ.

فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ فَكَانَ بَعْدُ لاَ يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلاَّ قَلِيلاً))(٢).

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وشاهد الترجمة قوله نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل فمقتضاه أن من كان يصلي من الليل يوصف بكونه نعم الرجل، قال القرطبي إنما فسر الشارع من رؤيا عبد الله ما هو ممدوح لأنه عرض على النار ثم عوفي منها وقيل له لا روع عليك وذلك لصلاحه غير أنه لم يكن يقوم من الليل فحصل لعبد الله من ذلك تنبيه على أن قيام الليل مما يتقي به النار والدنو منها فلذلك لم يترك قيام الليل بعد ذلك وأشار المهلب إلى أن السر في ذلك كون عبد الله كان ينام في المسجد ومن حق المسجد أن يتعبد فيه فنبه على ذلك بالتخويف بالنار قوله لو كان لو للتمني لا للشرط

---

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ١/ ٣٦٠.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: أبواب التهجد، باب: فضل قيام الليل، برقم ١٠٧٠، وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة، باب: من فضائل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما برقم ٢٤٧٩.

ولذلك لم يذكر الجواب وفي هذا الحديث أن قيام الليل يدفع العذاب وفيه تمني الخير والعلم) (١).

وقال ابن بطال رحمه الله: (قال المهلب: إنما فسر الرسول هذه الرؤيا في قيام الليل، والله أعلم، من أجل قول الملك الآخر: لم ترع، أى لم تعرض عليك لأنك مستحقها، إنما ذُكِّرْتَ بها، ثم نظر رسول الله في أحوال عبد الله فلم ير شيئًا يغفل عنه من الفرائض فيذكر بالنار، وعلم مبيته في المسجد فعبر بذلك، لأنه منبه على قيام الليل فيه بالقرآن، ألا ترى أن النبى ﷺ، رأى الذى علمه القرآن ونام عنه بالليل تشدخ رأسه إلى يوم القيامة في رؤياه ﷺ. وفيه: أن قيام الليل ينجى من النار. وروى سنيد عن أبيه، عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: (قالت أم سليمان لسليمان: يا بنى لا تكثر النوم بالليل فإن كثرة النوم بالليل تدع الرجل فقيرًا يوم القيامة) (٢).

وقال النووي رحمه الله: (وقوله ﷺ: (نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل) فيه فضيلة صلاة الليل)(٣).

وجاء في دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين:

(نعم الرجل عبد الله) قال القرطبي: إنما فسر الشارع من رؤيا عبد الله ما هو محمود لأنه عرض على النار ثم عوفي منها، وقيل له: لا روع عليك وذلك لصلاحه، وفيه جواز الثناء على من أمن عليه الإعجاب (لو كان يصلي من الليل) قال البرماوي: لو للتمني لا شرطية، قال المهلب: إنما فسرها بقيام الليل لأنه لم ير شيئاً منه يغفل عنه من الفرائض فيذكر بالنار وعلم مبيته في المسجد فعبر ذلك بأنه منبه على قيام الليل. وفي الحديث إيماء إلى أن قيام الليل

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الشيخ عبد العزيز بن باز، ترقيم الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقي، ٣/٩.

(٢) شرح صحيح البخارى، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم ٣/١١١.

(٣) شرح صحيح الإمام مسلم، النووي ٨/٢٤٤.

ينجي من النار، وفيه تمني الخير (قال سالم: فكان عبد اللّه بعد ذلك) أي التمني الصادر من رسول اللّه (لا ينام الليل) أي بعضه (إلا قليلاً) أي إلا بعضا قليلاً أو إلا نوماً قليلاً. ففيه إيماء لاستغراق قلبه بالتوجه للخدمة وإن نامت عينه فلا يستغرق قلبه فيه) (١).

٩/ قيام الليل من أسباب رحمة الله سبحانه وتعالى:

ومن فضائل قيام الليل أنّه سبب من أسباب رحمة الله سبحانه وتعالى، فعنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ)) (٢).

يعني: إن كان غلبها النوم، وطاب لها الفراش نضح في وجهها الماء حتى يذهب عنها النوم، وهذا من التعاون على البر والتقوى، وعلى العكس من ذلك الرجل.

والمراد الحث على قيام الليل والترغيب فيه، والتعاون بين الزوجين على ذلك، وحث الرجل لمحارمه يلحق بذلك، وهو من التعاون على البر والتقوى والتعاون على الخير، ومن الترغيب في الخير، ومن مجاهدة النفس، ومن مساعدة بعض أهل البيت لبعض. قوله: (رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته، فإن أبت – أي: ما استجابت له – نضح في وجهها الماء) يعني: نضح في وجهها الماء حتى يذهب عنها النوم، وحتى تفعل هذا الشيء الذي أراده منها، وهو الصلاة بالليل. وقوله: (رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء)] أي أن من كان منهما أنشط

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي، تحقيق: خليل مأمون شيحا ٦/٤٩٠.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب: التطوع، باب: قيام الليل، برقم ١٣١٠، قال الشيخ الألباني: حسن صحيح، انظر: (صحيح سنن أبي داود برقم١١٨١).

في العبادة وأسرع إلى القيام فإنه يحرص على إفادة الآخر، سواءٌ الرجل أو المرأة، الزوج أو الزوجة، وإذا ما حصلت الاستجابة بالكلام فينضح أحدهما الماء على وجه الآخر من أجل أن يذهب عنه النوم ويهب ويقوم، وهذا من التعاون على البر والتقوى. ووجه إيراد هذا الحديث تحت هذه الترجمة أن فيه حثاً على قيام الليل، وكون أحد الزوجين يقوم ويصلي ويحرص على أن يقوم رفيقه وصاحبه فيصلي معه، ففيه حث على قيام الليل.

قال بدر الدين العيني رحمه الله: (وفيه حث عظيم على قيام الليل، حتى إن من لم يقم اختياراً يقام بالإزعاج) (١).

وقال المناوي رحمه الله: (قوله (رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى) أي ولو ركعة لخبر عليكم بصلاة الليل (وأيقظ امرأته) في رواية أهله (فصلت فإن أبت) أن تستيقظ (نضح) أي رش (في وجهها الماء) ونحوه مما يدفع النوم (ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فصلى فإن أبى) أن يقوم نضحت في وجهه الماء) بين به أن من أصاب خيراً ينبغي أن يحب لغيره ما يحب لنفسه فيأخذ بالأقرب فالأقرب) (٢).

قال المباركفوري رحمه الله: (قوله: (رحم الله رجلاً) خبر عن استحقاقه الرحمة واستجابة لها، أو دعاء له ومدح له بحسن ما فعل. وقال العلقمي: هو ماض بمعنى الطلب. (قام من الليل) أي بعضه. (فصلى) أي التهجد. (وأيقظ امرأته) وفي حديث أبي سعيد وأبي هريرة: إذا أيقظ الرجل أهله، وهو أعم لشموله الولد والأقارب. (فصلت) ما كتب الله لها ولو ركعتين. (فإن أبت) أن تستيقظ. وقيل: أي امتنعت عن القيام لغلبة النوم، وكثرة الكسل. (نضح) وفي

---

(١) شرح سنن أبي داود، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العيني تحقيق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري ٢١٥/٥، ط/١، مكتبة الرشد، الرياض: ١٤٢٠ هـ/١٩٩٩م.

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير، الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي ٦٢/٢، ط/٣، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض: ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

رواية ابن ماجه: رش. (في وجهها الماء) ليزول عنها النوم. والمراد التلطف معها، والسعي في قيامها لطاعة ربها مهما أمكن.

قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٢﴾[1]. وفيه أن أصاب خيراً ينبغي له أن يتحرى إصابة الغير، وأن يحب له ما يحب لنفسه، فيأخذ بالأقرب فالأقرب. وقوله: "رحم الله" تنبيه للأمة بمنزلة رش الماء على الوجه لاستيقاظ النائم، وذلك أنه ﷺ لما نال بالتهجد ما نال من الكرامة والمقام المحمود أراد أن يحصل لأمته نصيب وافر، فحثهم على ذلك بألطف وجه. قيل: خص الوجه بالنصح؛ لأنه أفضل الأعضاء وأشرفها، وبه يذهب النوم والنعاس أكثر من بقية الأعضاء، وهو أول الأعضاء المفروضة غسلاً، وفيه العينان وهما آلة النوم. (رحم الله امرأة قامت من الليل) أي وقفت بالسبق. (فصلت) صلاة التهجد. (وأيقظت زوجها) فصلى، فإن أبى نضحت في وجهه الماء))[2].

١٠/ قيام الليل وصية النبي ﷺ لأمته:

ومن فضائل قيام الليل أنه وصيَّة سيِّد المُرسلين؛ لحديث أبي أمامة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وهو قُربة إلى ربكم، ومكفِّر للسيئات، ومنهاة للإثم))[3].

فبين ﷺ ما فيه من المصلحة بالقرب إلى الله وموافقة الصالحين من دفع المفسدة بالنهي عن المستقبل من السيئات، والتكفير للماضي منها.

قال المناوي رحمه الله: (قوله: (عليكم بقيام الليل) أي التهجد فيه (فإنه دأب

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢.

(٢) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الشيخ أبو الحسن عبيدالله بن محمد عبدالسلام المباركفوري ٤/٤٥٩.

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب: الدعوات، باب: في دعاء النبي ﷺ، برقم ٣٥٤٩، وقال الشيخ الألباني: حسن صحيح، انظر: (صحيح سنن الترمذي، الألباني ص ٨٠٦ رقم ٣٥٤٩).١٧٨.

الصالحين قبلكم) أي عادتهم وشأنهم (وقربة إلى الله تعالى) نكر القربة إيذاناً بأن لها شأناً (ومنهاة) بفتح الميم وسكون النون (عن الإثم) أي حال من شأنها أن تنهى عن الإثم أو هي محل مختص بذلك مفعلة من النهي والميم زائدة (وتكفير للسيآت) أي خصلة تكفر سيآتكم (ومطردة للداء عن الجسد) أي حالة شأنها إبعاد الداء أو محل مختص به ومعناه أن قيام الليل قربة تقربكم إلى ربكم وخصلة تكفر سيآتكم وتنهاكم عن المحرمات، قوله: (عليكم بقيام الليل) أي التهجد فيه. (فإنه دأب الصالحين قبلكم) بسكون الهمزة ويحرك أي عادتهم. قال الطيبي: الدأب العادة والشأن، وقد يحرك، وأصله من دأب في العمل إذا جد وتعب، أي هي عادة قديمة واظب عليها الأنبياء والأولياء السابقون. (وهو) أي مع كونه إقتداء بسيرة الصالحين. (قربة لكم إلى ربكم) أي مما تتقربون به إلى الله تعالى. (ومكفرة) بفتح الميم وسكون القاف مصدر ميمي بمعنى اسم فاعل من الكفر وهو الستر. (للسيئات) أي خصلة ساترة ماحية لذنوبكم، والحسنات كلها تكفير للسيئات، كما قال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾(١). وقيام الليل يزيد عليها لكونه (منهاة) بفتح الميم وسكون النون مصدر ميمي أيضاً بمعنى اسم فاعل من النهي. (عن الإثم) كذا في جميع النسخ، وكذا في المصابيح، والمعنى ناهية عن ارتكاب ما يوجب الإثم. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾(٢). وقال الجزري في النهاية: منهاة عن الإثم أي حالة من شأنها أن تنهى الإثم أو هي مكان مختص بذلك، وهي مفعلة من النهي) (٣).

---

(١) سورة هود، الآية: ١١٤.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

(٣) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الشيخ أبو الحسن عبيدالله بن محمد عبدالسلام المباركفوري ٢/٢٨٢.

إنه عند سكون الليل ورَقْدَةِ الناس على فُرُشِهم تظهر منحة الله لعبده حينما يقوم من فراشه فيذكر الله ويسأل الله العون، فيتوضأ ويستعد لمناجاة ربه في خلوته فتجده في صلاته قائماً تالياً خائفاً راجياً مخبتاً متذللاً باكياً فهذه التجارة التي لن تبور بل جزاؤها فرح وسرور في الدنيا قبل الآخرة. وهذه العبادة الجليلة هي طريق الأنبياء والصالحين فهي أعز شي عندهم يجدون فيها السعادة والتوفيق من رب العالمين.

١١/ قيام الليل يُغْبَطُ عليه صاحبه:

ومن فضائل قيام الليل أنه يُغْبَطُ عليه صاحبه؛ لعظيم ثوابه، فهو خير من الدنيا وما فيها؛ لحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار))[١]؛ ولحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلَّطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلِّمها))[٢].

قال ابن حجر رحمه الله: (وأما الحسد المذكور في الحديث فهو الغبطة وأطلق الحسد عليها مجازا وهي أن يتمنى أن يكون له مثل ما لغيره من غير أن يزول عنه والحرص على هذا يسمى منافسة فإن كان في الطاعة فهو محمود ومنه فليتنافس المتنافسون وإن كان في المعصية فهو مذموم ومنه ولا تنافسوا وإن كان في الجائزات فهو مباح فكأنه قال في الحديث لا غبطة أعظم أو أفضل من الغبطة في هذين الامرين ووجه الحصر أن الطاعات أما بدنية أو مالية

(١) أخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، باب: فضل من يقوم بالقرآن، برقم ٨١٥.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: العلم، باب: الاغتباط في العلم والحكمة، برقم ٧٣، وأخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، باب: فضل من يقوم بالقرآن ويعلّمه وفضل من تعلم حكمه من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها، برقم ٨١٦ .

أو كائنة عنهما وقد أشار إلى البدنية بإتيان الحكمة والقضاء بها وتعليمها ولفظ حديث بن عمر رجل أتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار والمراد بالقيام به العمل به مطلقا أعم من تلاوته داخل الصلاة أو خارجها ومن تعليمه والحكم والفتوى بمقتضاه فلا تخالف بين لفظي الحديثين ولأحمد من حديث يزيد بن الأخنس السلمي رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ويتبع ما فيه ويجوز حمل الحسد في الحديث على حقيقته على أن الاستثناء منقطع والتقدير نفى الحسد مطلقا لكن هاتان الخصلتان محمودتان ولا حسد فيهما فلا حسد أصلاً)[1].

وقال أبوالعباس القرطبي رحمه الله: (أصل الحسد: تمنِّي زوال النّعمة عن المنعَم عليه، ثم قد يكون مذمومًا، وغير مذموم، فالمذموم: أن تتمنَّى زوال نعمة الله عن أخيك المسلم، سواء تمنيت مع ذلك أن تعود إليك أو لا، وهذا النوع هو الذي ذمَّه الله تعالى بقوله: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾[2]. وأما غير المذموم ؛ فقد يكون محمودًا ، مثل: أن يتمنّى زوال النعمة عن الكافر وعمن يستعين بها على المعصية. وأما الغبطة: فهو أن تتمنّى أن يكون لك من النعمة والخير مثل ما لغيرك، من غير أن تزول عنه، والحرص على هذا يُسمّى: منافسة، ومنه: ﴿ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[3]. غير أنه قد يطلق على الغبطة حَسدًا ، وعليه يُحمل الحسدُ في هذا الحديث، فكأنه قال: لا غبطةَ أعظم أو أفضل من الغبطة في هذين الأمرين. وقد نبّه البخاري على

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الشيخ عبد العزيز بن باز، ترقيم الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقي ١٦٧/١.

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٤.

(٣) سورة المطففين، الآية: ٢٦.

هذا؛ حيث بوَّب على هذا الحديث: باب الاغتباط في العلم والحكمة. و" آناء الليل": ساعاته) [١].

١٢/ قيام الليل يطرد الغفلة عن القلب:

إن قيام الليل غنيمة عظيمة؛ والحرص عليه يطرد الغفلة عن القلب؛ لحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين[٢]))[٣].

فالخالي في الأسحار، بالتبتل والأذكار، والدعوات والاستغفار، لا يشعر بغربةٍ في نفسه، ولا بوحدةٍ في حسه، بل هو في أنس الله يرتع، وفي اجتماعه به ينعم، وبقربه يتسلى، وبحبه يتلذذ، وبمعيته يسعد، وبالخضوع الصادق يتعبد، فخلوة السحر ساعة مباركة، يُكثِّر الله فيها القليل، ويُربي فيها الضئيل، ويجزي على العبادة فيها خيراً كثيراً، إنها تعوِّدَ العبد على الصدق مع الله، وعلى عدم التزين للمخلوق، وتشغله بخاصة نفسه، ومطالعة عيبهِ، والاستغفار لذنبه، خلوة السحر تعلم الإنسان الزهد في الدنيا، وتميت الطمع والحرص عليها في قلبه، وتجعله مقبلاً على الله، مدبراً عن الدنيا، خلوة السحر تورث رقة القلب، ورفق الطبع، والتواضع للخلق، ترغب في العزلة المحمودة، والأنس بالله تبارك وتعالى.

قال بدر الدين العيني رحمه الله: (قوله: " لم يكتب من الغافلين " أي: الغافلين عن ذكر الله تعالى. وقوله: " من القانتين " أي: المطيعين، أو الخاشعين،

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، تحقيق: محي الدين ديب مستو، أحمد محمد السيد، يوسف علي بديوي، محمود إبراهيم بزال ٧/٧٧، ط/١، دار ابن كثير: ١٩٩٦م/١٤١٧هـ.

(٢) المقنطرين: أي ممن كتب له قنطار من الأجر، الترغيب والترهيب، المنذري ١/٤٩٥.

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب: شهر رمضان، باب: تحزيب القرآن، برقم ١٣٩٨، وقال الألباني: حديث صحيح، انظر: صحيح سنن أبي داود، الألباني ص ٢١٨، رقم ١٣٩٨.

أو المصلين، أو الداعين، أو العابدين، أو القائمين. وقوله: " من المقنطرين " بفتح الطاء، أي: من الذين أعطوا قنطارا من الأجر. ورُوي عن: معاذ بن جبل، أنه قال: القنطار ألف ومائتا أوقية، والأوقية خير مما بين السماء والأرض. وقال أبو عبيد: القناطير واحدها قنطار، ولا تجد العربَ تعرف وزنه. وقال ثعلب: المعروف المعمول عليه عند العرب أكثر أنه أربعة آلاف دينار، وإذا قالوا: قناطير مقنطرة، فهي اثنا عشر ألف دينار، وقيل: القنطار ملء جلد ثور ذهبًا، وقيل: ثمانون ألفا، وقيل: هي حملة كثيرة مجهولة من المال) (١).

شرح سنن أبي داود ـ عبد المحسن العباد – (٧/ ٤٩٨)

إن هذا الحديث جاء في قيام الليل؛ لأن قوله: (من قام) أي: صلى وقرأ هذا المقدار من الآيات. وقوله: (من القانتين) كلمة القنوت تأتي بعدة تفسيرات، فتأتي بمعنى: السكوت، وبمعنى: طول القيام، وبمعنى: الدعاء، ويأتي بمعانٍ أخرى، وهنا يحتمل أن يكون المراد بالقانتين الذين يحصل منهم طول القيام في صلاة الليل، ويحتمل غير ذلك. قوله: (ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين) أي: الذين يحصلون على الأجر العظيم، والأجور الكبيرة الواسعة؛ لأن المقنطرين نسبة للقنطار، أو ما يزن القناطير أو يماثلها في كثرتها، وهذا كناية عن عظم الأجر والثواب.

قال المباركفوري رحمه الله: (قوله: (من قام بعشر آيات) أي أخذها بقوة وعزم من غير فتور ولا توانٍ، من قولهم قام بالأم، فهو كناية عن حفظها والدوام على قراءتها والتفكر في معانيها والعمل بمقتضاها، وإليه الإشارة بقوله: لم يكتب من الغافلين، ولا شك أن قراءة القرآن في كل وقت لها مزايا وفضائل، وأعلاها أن يكون في الصلاة لاسيما في الليل قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ۝٦﴾ (٢).

---

(١) شرح سنن أبي داود، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني تحقيق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري ٣٠٢/٥.

(٢) سورة المزمل، الآية: ٦ .

ومن ثم أورد محي السنة الحديث في باب صلاة الليل، قاله الطيبي. وحاصله أن الحديث مطلق غير مقيد لا بصلاة ولا بليل، فينبغي أن يحمل على أدنى مراتبه، ويدل عليه قوله لم يكتب من الغافلين، وإنما ذكره البغوي في محل الأكمل. وقال ابن حجر: أي يقرأها في ركعتين أو أكثر، وظاهر السياق أن المراد غير الفاتحة- انتهى. قلت: تفسير قام يصلي أي بالقراءة في الصلاة بالليل في هذا المقام هو الظاهر بل هو المتعين، (لم يكتب من الغافلين) أي لم يثبت اسمه في صحيفة الغافلين. وقيل: أي خرج من زمرة الغفلة من العامة ودخل في زمرة "رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ". (ومن قام بمائة آية كتب من القانتين) القنوت يرد بمعنان: كالطاعة والقيام والخشوع والعبادة والسكوت والصلاة، فيصرف في كل واحد من هذه المعاني إلى ما يحتمله لفظ الحديث الوارد فيه، والمراد هنا القيام أو الطاعة أي كتب عند الله من الثابتين على طاعته أو من القائمين بالليل. وقال الطيبي: أي من الذين قاموا بأمر الله ولزموا طاعته وخضعوا له. (ومن قام بألف آية) قال المنذري من الملك إلى آخر القرآن ألف آية. (كتب من المقنطرين) بكسر الطاء أي من المكثرين من الأجر والثواب، مأخوذ من القنطار، وهو المال الكثير. قال الطيبي رحمه الله: أي من الذين بلغوا في حيازة المثوبات مبلغ المنقطرين في حيازة الأموال) (١).

وما من شك أن فضائل قيام الليل كثيرة ومتعددة ومتنوعة لكن يكفي ما أوردنا من فضائل لكي تعلو همة المسلم، ويقبل على قيام الليل ويداوم عليه.

---

(١) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الشيخ أبو الحسن عبيدالله بن محمد عبدالسلام المباركفوري ٤/٣٧٤.

المبحث الثالث

هدي النبي ﷺ في قيام الليل

فإن هدي النبي هو سنته وطريقته في الأشياء، وهديه أكمل هدي؛ لأنه هدي معتدل يتحقق به صلاح القلب والجسد وإشباع الروح والعقل دون تفريط أو شطط. وقد جعل الله سبحانه الرسول ﷺ قدوة لنا في كل شيء قال الله تعالى قال: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ (١).

قال ابن كثير رحمه الله: (هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله؛ ولهذا أمر الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب، في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه، عز وجل، ﷺ دائماً إلى يوم الدين؛ ولهذا قال تعالى للذين تقلقوا وتضجروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أي: هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله؟) (٢).

وقال الشيخ السعدي رحمه الله: (وقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ حيث حضر الهيجاء ﷺ بنفسه الكريمة، وباشر موقف الحرب، وهو الشريف الكامل، والبطل الباسل، فكيف تشحون بأنفسكم، عن أمر جاد رسول اللّه ﷺ، بنفسه فيه؟"

فَتأَسَّوْا به في هذا الأمر وغيره.

واستدل الأصوليون في هذه الآية، على الاحتجاج بأفعال الرسول ﷺ،

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١ .

(٢) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة ٣٩١/٦.

وأن الأصل، أن أمته أسوته في الأحكام، إلا ما دل الدليل الشرعي على الاختصاص به.

فالأسوة نوعان: أسوة حسنة، وأسوة سيئة.

فالأسوة الحسنة، في الرسول ﷺ، فإن المتأسِّي به، سالك الطريق الموصل إلى كرامة الله، وهو الصراط المستقيم.

وأما الأسوة بغيره، إذا خالفه، فهو الأسوة السيئة، كقول الكفار حين دعتهم الرسل للتأسِّي بهم ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[1].

وهذه الأسوة الحسنة، إنما يسلكها ويوفق لها، من كان يرجو الله، واليوم الآخر، فإن ما معه من الإيمان، وخوف الله، ورجاء ثوابه، وخوف عقابه، يحثه على التأسي بالرسول ﷺ) [2].

وقال سبحانه: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾[3].

قال ابن القيم رحمه الله: (والمقصودُ أن بحسب متابعة الرسول ﷺ تكونُ العزَّة والكفاية والنُّصرة، كما أن بحسب متابعته تكونُ الهدايةُ والفلاح والنجاة، فالله سبحانه علَّق سعادة الدارين بمتابعته، وجعل شَقاوة الدارين في مخالفته، فلأتباعه الهدى والأمن، والفلاحُ والعزَّة، والكفاية والنصرة، والوِلاية والتأييد، وطيبُ العيش في الدنيا والآخرة، ولمخالفيه الذِّلةُ والصَّغار،

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٢٢ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ص ٦٦٠ .

(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ٣١، ٣٢ .

والخوفُ والضلال، والخِذلان والشقاءُ في الدنيا والآخرة. وقد أقسم ﷺ بأن الإيمان لا يكتمل حتى تكتمل محبته فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)) (١). وأقسم الله سبحانه بأن لا يؤمنُ مَن لا يُحكّمه في كل ما تنازع فيه هو وغيرُه، ثم يَرضى بحُكمه، ولا يَجِدُ في نفسه حرجاً ممّا حكم به ثم يُسلم له تسليماً، وينقاد له انقياداً قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾(٢). وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾(٣). فقطع سبحانه وتعالى التخيير بعد أمره وأمر رسوله ﷺ، فليس لمؤمن أن يختار شيئاً بعد أمره ﷺ، بل إذا أمر، فأمرُه حتم، وإنما الخِيَرَةُ في قول غيره إذا خفي أمرُه، وكان ذلك الغيرُ مِن أهل العلم به وبسنته، فبهذه الشروط يكونُ قولُ غيره سائغَ الاتباع، لا واجب الاتباع، فلا يجب على أحد اتباعُ قول أحد سواه، بل غايتُه أنَّه يسوغ له اتباعُه، ولو تَرَكَ الأخذ بقول غيره، لم يكن عاصياً للّه ورسوله. فأين هذا ممن يجب على جميع المكلفين اتباعُه، ويحرم عليهمْ مخالفتُه، ويجب عليهم تركُ كل قول لقوله؟ فلا حكم لأحد معه، ولا قولَ لأحد معه، كما لا تشريع لأحد معه، وكلٌّ من سواه، فإنما يجب اتباعُه على قوله إذا أمر بما أمر به، ونهى عما نهى عنه، فكان مبلغاً محضاً ومخبراً لا منشئاً ومؤسساً، فمن أنشأ أقوالاً، وأسس قواعدَ بحسب فهمه وتأويله، لم

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين ولإطلاق عدم الإيمان على من لم يحبه هذه المحبة، برقم ٤٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٥ .

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦ .

يجب على الأمّةِ اتباعُها، ولا التحاكم إليها حتى تُعرَض على ما جاء به الرسولُ، فإن طابقته، ووافقته، وشهد لها بالصحة، قُبِلَتْ حينئذٍ، وإن خالفته، وجب ردُّها واطّراحُها، فإن لم يتبين فيها أحدُ الأمرين، جُعِلَتْ موقوفة، وكان أحسنُ أحوالِها أن يجوزَ الحكمُ والإفتاء بها وتركه، وأما أنه يجب ويتعين، فكلا) (١).

وعلى هذا فمن الأهمية بمكان للمسلم أن يعرف هَدْي النبي ﷺ في قيام الليل حتى يحقق الاقتداء الكامل برسول الله ﷺ.

ومن هدي النبي ﷺ في قيام الليل ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: (اللهم لك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن ولك الحمد لك ملك السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق وقولك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد ﷺ حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت أو لا إله غيرك)) (٢).

قال بدر الدين العيني رحمه الله: (قوله إذا قام من الليل يتهجد وفي رواية مالك إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل يتهجد وظاهر الكلام أنه كان يدعو بهذا الدعاء أول ما يقول إلى الصلاة ويخلص الثناء على الله تعالى بما هو أهله والإقرار بوعده ووعيده وفي رواية ابن عباس رضي الله عنهما حين بات عند ميمونة أنه لما

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ٣٧/١، ط/٢٧، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: أبواب التهجد، باب: التهجد بالليل وقوله عز و جل ﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك ﴾ الاسراء ٧٩، برقم ١٠٦٩، وأخرجه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه رقم ٧٦٩ .

استيقظ تلا العشر الآيات من آخر آل عمران فبلغ ما شهده أو بلغه وقد يكون كله في وقت واحد وسكت هو عنه أو نسيه الناقل قوله اللهم أصله يا الله قوله أنت قيم السموات والأرض والقيم والقيام والقيوم بمعنى واحد وهو الدائم القيام بتدبير الخلق المعطي له ما به قوامه أو القائم بنفسه المقيم لغيره وقال ابن عباس القيوم هو الذي لا يزول وقيل هو القائم على كل نفس ومعناه مدبر أمرها وقيل قيام على المبالغة من قام بالشيء إذا هيأ له جميع ما يحتاج إليه وقيل قيم السموات والأرض خالقهما وممسكهما أن تزولا ،

قوله أنت نور السموات والأرض أي منورهما ، وقال ابن عباس هادىء أهلهما وقيل منزه في السموات والأرض من كل عيب ومبرأ من كل ريبة وقيل هو اسم مدح يقال فلان نور البلد وشمس الزمان وقال أبو العالية مزين السموات بالشمس والقمر والنجوم ومزين الأرض بالأنبياء والعلماء والأولياء وقال ابن بطال أنت نور السموات والأرض ومن فيهن أي بنورك يهتدي من في السموات والأرض وقيل معناه ذو نور السموات والأرض قوله أنت ملك السموات والأرض كذا في رواية الأكثرين وفي رواية الكشميهني لك ملك السموات والأرض قوله أنت الحق معناه المتحقق وجوده وكل شيء صح وجوده وتحقق فهو حق وقال ابن التين يحتمل أن يكون معناه أنت الحق بالنسبة إلى من يدعي فيه أنه إله أو بمعنى أن من سماك إلها فقد قال الحق وإنما عرف الحق في الموضعين وهما أنت الحق ووعدك الحق ونكر في البواقي لأن المسافة بين المعرف باللام الجنسية والنكرة قريبة بل صرحوا بأن مؤداهما واحد لا فرق إلا بأن في المعرفة إشارة إلى أن الماهية التي دخل عليها اللام معلومة للسامع وفي النكرة لا إشارة إليه وقال الطيبي عرفهما للحصر لأن الله هو الحق الثابت الباقي وما سواه في معرض الزوال وكذا وعده مختص بالإنجاز دون وعد غيره

والتنكير في البواقي للتعظيم) (١).

وقال المباركفوري رحمه الله: (قوله: (كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد) أي يصلي صلاة الليل، وهو حال من فاعل "قام" وأصل التهجد ترك الهجود، وهو النوم.

وقال ابن فارس رحمه الله: المتهجد المصلي ليلاً، ذكره القسطلاني.

وقال الحافظ رحمه الله: تفسير التهجد بالسهر معروف في اللغة، وهو من الأضداد يقال: تهجد إذا سهر وتهجد إذا نام، حكاه الجوهري وغيره، ومنهم من فرق بينهما فقال: هجدت نمت وتهجدت سهرت، فعلى هذا أصل الهجود النوم، ومعنى تهجدت طرحت عني النوم.

وقال الطبري رحمه الله: التهجد السهر بعد نومة ثم ساقه عن جماعة من السلف.

وقال ابن فارس رحمه الله: المتهجد المصلي ليلاً، وقال فرا: التهجد صلاة الليل خاصة- انتهى.

وقال الفخر الرازي رحمه الله في تفسيره: قال الأزهري المعروف في كلام العرب أن الهاجد هو النائم، ثم أن في الشرع يقال لمن قام من النوم إلى الصلاة أنه متهجد، فوجب أن يحمل على أنه سمى متهجداً لا لقاءه الهجود عن نفسه، كما قيل للعابد متحنث لا لقاءه الحنث عن نفسه وهو الإثم، ويقال: فلان رجل متحرج ومتأثم ومتحوب أي يلقي الحرج والإثم والحوب عن نفسه- انتهى. (قال) أي كان عليه السلام عند قيامه من الليل متهجداً يقول. قال الحافظ: ظاهر السياق أنه كان يقوله أول ما يقوم إلى الصلاة، وترجم عليه ابن خزيمة الدليل على أن النبي ﷺ كان يقول هذا التحميد بعد أن يكبر، ثم ساقه من طريق قيس بن سعد عن طاووس عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني الحنفي ٢٤١/١١، ط/٢، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة: ١٩٨٤م.

قام للتهجد قال بعد ما يكبر اللهم لك الحمد- انتهى. قلت: ولأبي داود من هذا الطريق أن رسول الله ﷺ كان في التهجد يقول بعد ما يقول الله أكبر. (اللهم لك الحمد) تقديم الخبر للدلالة على التخصيص. (أنت قيم السماوات والأرض) أي القائم بأمره وتدبيره السماوات والأرض وغيرها. وفي رواية: قيام وفي أخرى قيوم، وهي من أبنية المبالغة، وهي من صفات الله تعالى، ومعناه واحد. وقيل: القيم معناه القائم بأمور الخلق ومدبر العالم في جميع أحواله والقيام القائم بنفسه بتدبير خلقه المقيم لغيره، والقيوم من أسماء الله) (١).

ومن هديه ﷺ في قيام الليل ما جاء عن عائشة رضي الله عنها: ((أن رسول الله ﷺ كان يصلي إحدى عشرة ركعة كانت تلك صلاته يسجد السجدة من ذلك قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع رأسه ويركع ركعتين قبل الفجر ثم يضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المنادي للصلاة)) (٢).

قال بدر الدين العيني رحمه الله: (مطابقته للترجمة في قوله (يسجد السجدة من ذلك قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع رأسه) فإن هذا المقدار من القراءة في السجدة يدل على طول السجدة، والتعريف في السجدة للجنس فيحتمل تناوله لكل سجدات تلك الصلاة والتاء التي فيها لا تنافيها قوله قدر منصوب بنزع الخافض أي بقدر قوله للصلاة أي لصلاة الصبح وقال ابن بطال ما طول سجوده في قيام الليل فذلك لاجتهاده فيه بالدعاء والتضرع إلى الله تعالى فإن ذلك أبلغ أحوال التواضع والتذلل إليه وكان ذلك شكرا على ما أنعم الله به عليه وقد كان غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيه الأسوة الحسنة وكان السلف يفعلون ذلك وقال يحيى بن وثاب كان ابن الزبير رحمه الله تعالى يسجد حتى تنزل العصافير على ظهره كأنه حائط) (٣).

---

(١) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الشيخ أبو الحسن عبيدالله بن محمد عبدالسلام المباركفوري ١٩٩/٤.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: أبواب التهجد، باب: طول السجود في قيام الليل، برقم ١٠٧١.

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني الحنفي ٢٥٢/١١.

ومن هديه ﷺ في قيام الليل أنه كان إذا مرض ﷺ فإنه يدع القيام فعن جندب رضي الله عنه قال: ((اشتكى النبي ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين))(١).

وعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: احتبس جبريل عليه السلام على النبي ﷺ فقالت امرأة من قريش أبطأ عليه شيطانه فنزلت: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ (٢).(٣).

قال ابن بطال رحمه الله: (قال المهلب: لما لم يقم النبى ﷺ وقت شكواه، ولم تسمعه المرأة يصلى حينئذ ظنت هذا الظن والقصة واحدة رواها جندب)(٤).

ولقد جاء عن النبى ﷺ أنه من كان له حظ من العبادة ومنعه الله منها بمرض، فإن الله عز وجل يتفضل عليه بهبة ثوابها. فعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: ((إذا مرض العبد، أو سافر يكتب له ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا)) (٥).

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ رحمه الله عَنْ رَجُلٍ عِنْدَهُ أَنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((مَا مِنِ امْرِئٍ تَكُونُ لَهُ صَلاَةٌ بِلَيْلٍ يَغْلِبُهُ عَلَيْهَا نَوْمٌ إِلاَّ كُتِبَ لَهُ أَجْرُ صَلاَتِهِ وَكَانَ نَوْمُهُ عَلَيْهِ صَدَقَةً)) (٦).

ومن هديه ﷺ أنه كان يحرض على قيام الليل ولا يأمر بإيجابه، ومما يدل على ذلك ما جاء عن الحسين بن علي رضي الله عنهما أخبره أن علي بن أبي

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: أبواب التهجد، باب: قيام المريض، برقم ١٠٧٢.

(٢) سورة الضحى، الآيات: ١-٣.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: أبواب التهجد، باب: قيام المريض، برقم ١٠٧٣.

(٤) شرح صحيح البخارى، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم ١١٣/٣.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: يكتب للمسافر مثل ما كان يعمل في الإقامة، برقم ٢٨٣٤.

(٦) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: التطوع، باب: مَنْ نَوَى الْقِيَامَ فَنَامَ، برقم ١٣١٦، وقال الشيخ الألباني: صحيح، انظر: صحيح سنن أبي داود برقم ١١٨٧ .

طالب ﷺ أخبره: أن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة بنت النبي ﷺ ليلة فقال: ((ألا تصليان)). فقلت يا رسول الله أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا فانصرف حين قلنا ذلك ولم يرجع إلي شيئا ثم سمعته وهو مولٍ يضرب فخذه وهو يقول: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾(١).(٢). وعن أم سلمة ﷺ قالت: استيقظ النبي ﷺ ذات ليلة فقال: ((سبحان الله ماذا أنزل الليلة من الفتن وماذا فتح من الخزائن أيقظوا صواحبات الحجر فرب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة)) (٣).

وعن عائشة ﷺ قالت: ((إن كان رسول الله ﷺ ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم وما سبح رسول الله ﷺسبحة الضحى قط وإني لأسبحها)) (٤).

وعن عروة بن الزبير ﷺ عن عائشة أم المؤمنين ﷺ: ((أن رسول ﷺ صلى ذات ليلة في المسجد فصلى بصلاته ناس ثم صلى من القابلة فكثر الناس ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ فلما أصبح قال: (قد رأيت الذي صنعتم ولم يمنعني من الخروج إليكم إلا أنني خشيت أن تفرض عليكم)) (٥).

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٥٤.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: أبواب التهجد، باب: تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب، برقم ١٠٧٥، وأخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: ماروي فيمن نام الليل أجمع، برقم ٧٧٥ .

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: العلم، باب: العلم والعظة بالليل، برقم ١١٥.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: أبواب التهجد، باب: تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب، برقم ١٠٧٦، وأخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب صلاة الضحى، برقم ٧١٨.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب: أبواب التهجد، باب: تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب، برقم ١٠٧٧.

قال ابن حجر رحمه الله: (قوله باب تحريض النبي ﷺ يعني أمته أو المؤمنين على قيام الليل) في رواية الأصيلي وكريمة صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب قال بن المنير اشتملت الترجمة على أمرين التحريض ونفي الإيجاب فحديث أم سلمة وعلى للأول وحديث عائشة للثاني قلت بل يؤخذ من الأحاديث الاربعه نفي الإيجاب ويؤخذ التحريض من حديثي عائشة من قولها كان يدع العمل وهو يحبه لأن كل شيء أحبه استلزم التحريض عليه لولا ما عارضه من خشية الإفتراض قال بن رشيد كأن البخاري فهم أن المراد بالايقاظ الايقاظ للصلاة لا لمجرد الاخبار بما انزل لأنه لو كان لمجرد الأخبار لكان يمكن تاخيره إلى النهار لأنه لا يفوت قال ويحتمل أن يقال أن لمشاهدة حال المخبر حينئذ أثرا لا يكون عند التأخير فيكون الايقاظ في الحال أبلغ لوعيهن ما يخبرهن به ولسمعهن ما يعظهن به ويحتمل أن يكون مراد البخاري بقوله قيام الليل ما هو أعم من الصلاة والقراءة والذكر وسماع الموعظة والتفكر في الملكوت وغير ذلك ويكون قوله والنوافل من عطف الخاص على العام) [1].

وعلق رحمه الله على تحريض النبي ﷺ لعلي وفاطمة رضي الله عنهما على قيام الليل فقال: (وحكى بن فارس أن معنى طرق أتى فعلى هذا يكون قوله ليلة لبيان وقت المجيء ويحتمل أن يكون المراد بقوله ليلة أي مرة واحدة قوله الا تصليان قال بن بطال فيه فضيلة صلاة الليل وايقاظ النائمين من الأهل والقرابه لذلك ووقع في رواية حكيم بن حكيم المذكورة ودخل النبي ﷺ علي وعلى فاطمة من الليل فأيقظنا للصلاه ثم رجع إلى بيته فصلى هويا من الليل فلم يسمع لنا حسا فرجع إلينا فأيقظنا الحديث قال الطبري لولا ما علم النبي ﷺ من عظم فضل الصلاة في الليل ما كان يزعج ابنته وبن عمه في وقت جعله الله لخلقه سكنا لكنه أختار لهما احراز تلك الفضيلة على الدعة والسكون، ونقل بن بطال عن المهلب قال فيه أنه ليس للإمام أن يشدد في النوافل حيث قنع ﷺ

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الشيخ عبد العزيز بن باز، ترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي ١٠/٣.

بقول علي رضي الله عنه أنفسنا بيد الله لأنه كلام صحيح في العذر عن التنفل ولو كان فرضا ما عذره)[١].

وعلق رحمه الله على حديث عائشة رضي الله عنها فقال: (قوله إلا أني خشيت أن تفرض عليكم ظاهر في أن عدم خروجه إليهم كان لهذه الخشيه لا لكون المسجد امتلأ وضاق عن المصلين قوله أن تفرض عليكم في رواية عقيل وبن جريج فتعجزوا عنها وفي رواية يونس ولكني خشيت أن تفرض عليكم صلاة الليل فتعجزوا عنها وكذا في رواية أبي سلمة المذكورة قبيل صفة الصلاة خشيت أن تكتب عليكم صلاة الليل وقوله فتعجزوا عنها أي تشق عليكم فتتركوها مع القدره عليها وليس المراد العجز الكلي لأنه يسقط التكليف من أصله ثم أن ظاهر هذا الحديث أنه صلى الله عليه وسلم توقع ترتب افتراض الصلاة بالليل جماعة على وجود المواظبة عليها وفي ذلك اشكال وقد بناه بعض المالكية على قاعدتهم في أن الشروع ملزم وفيه نظر وأجاب المحب الطبري بأنه يحتمل أن يكون الله عز وجل أوحى إليه انك أن واظبت على هذه الصلاة معهم افترضتها عليهم فأحب التخفيف عنهم فترك المواظبه قال ويحتمل أن يكون ذلك وقع في نفسه كما اتفق في بعض القرب التي داوم عليها فافترضت وقيل خشي أن يظن أحد من الأمة من مداومته عليها الوجوب وإلى هذا الأخير نحا القرطبي فقال قوله فتفرض عليكم أي تظنونه فرضا فيجب على من ظن ذلك كما إذا ظن المجتهد حل شيء أو تحريمه فإنه يجب عليه العمل به قال وقيل كان حكم النبي صلى الله عليه وسلم أنه إذا واظب على شيء من أعمال البر واقتدى الناس به فيه أنه يفرض عليهم انتهى ولا يخفى بعد هذا الأخير فقد واظب النبي صلى الله عليه وسلم على رواتب الفرائض وتابعه أصحابه ولم تفرض وقال بن بطال يحتمل أن يكون هذا القول صدر منه صلى الله عليه وسلم لما كان قيام الليل فرضاً عليه دون أمته

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الشيخ عبد العزيز بن باز، ترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي ١٢/٣.

فخشي أن خرج إليهم والتزموا معه قيام الليل أن يسوي الله بينه وبينهم في حكمه لأن الأصل في الشرع المساواه بين النبي ﷺ وبين أمته في العبادة قال ويحتمل أن يكون خشي من مواظبتهم عليها أن يضعفوا عنها فيعصي من تركها بترك أتباعه ﷺ.

وفي حديث الباب من الفوائد غير ما تقدم ندب قيام الليل ولا سيما في رمضان جماعة لأن الخشيه المذكورة أمنت بعد النبي ﷺ ولذلك جمعهم عمر بن الخطاب على أبي بن كعب، وفيه أن الكبير إذا فعل شيئا خلاف ما اعتاده أتباعه أن يذكر لهم عذره وحكمه والحكمة فيه وفيه ما كان النبي ﷺ عليه من الزهادة في الدنيا والاكتفاء بما قل منها والشفقه على أمته والرأفة بهم وفيه ترك بعض المصالح لخوف المفسده وتقديم أهم المصلحتين وفيه جواز الاقتداء بمن لم ينو الامامه كما تقدم وفيه نظر لأن نفي النية لم ينقل ولا يطلع عليه بالظن وفيه ترك الأذان والاقامه للنوافل إذا صليت جماعة)(١).

وقال ابن بطال رحمه الله: (وقوله في الحديث: (لم يمنعنى من الخروج إليكم إلا أننى خشيت أن تفرض عليكم)، فدل أنه كان فرضًا عليه وحده. وقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن قيام الليل كان فرضًا على النبى ﷺ، ذكره ابن الأدفوى، فيكون معنى قول عائشة رضي الله عنها: (إن كان رسول الله ﷺ ليدع العمل)، يعنى إن كان يدع إظهار عمله لأمته ودعاءهم إلى فعله معه، لا أنها أرادت أنه كان يدع العمل أصلاً، وقد فرضه الله تعالى عليه، أو ندبه إليه، لأنه كان أتقى أمته لله وأشدهم اجتهادًا، ألا ترى أنه لما اجتمع الناس من الليلة الثالثة، أو الرابعة لم يخرج إليهم، ولا شك أنه صلى حزبه تلك الليلة في بيته. فخشى إن خرج إليهم والتزموا معه صلاة الليل أن يسّوى الله تعالى بينهم

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الشيخ عبد العزيز بن باز، ترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي ٣/١٢-١٥.

وبينه في حكمها، فيفرضها عليهم من أجل أنها فرض عليه، إذ المعهود في الشريعة مساواة حال الإمام والمأموم في الصلاة، فما كان منها فريضة فالإمام والمأموم فيها سواء، وكذلك ما كان منها سنة أو نافلة. والمعنى الثانى هو أن يكون خشى من مواظبتهم على صلاة الليل معه أن يضعفوا عنها فيكون من تركها عاصيًا لله في مخالفته لنبيه وترك اتباعه، متوعدًا بالعقاب على ذلك، لأن الله تعالى فرض اتباعه، فقال: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨﴾[1]. وقال في ترك اتباعه: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣﴾[2]. فخشى على تاركها أن يكون كتارك ما فرض الله عليه، لأن طاعة الرسول ﷺ كطاعة الله، وكان ﷺ رفيقًا بالمؤمنين رحيمًا بهم)[3].

وقال بدر الدين العيني رحمه الله: (ومطابقة حديث عائشة للترجمة –باب تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب – من حيث إن العمل الذي كان للنبي ﷺ يحب أن يعمل به لا يخلو عن تحريض أمته عليه غير أنه كان يتركه خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم ويحتمل أن تكون المطابقة للجزء الثاني للترجمة وهو قوله والنوافل فإنها أعم من أن تكون بالليل أو بالنهار فيكون محل المطابقة للترجمة في قوله وإني لأسبحها وفيه تحريض على ذلك فيكون معنى قول عائشة إن كان رسول الله ﷺ ليدع العمل أنه كان يدع عمله لأمته ودعاءهم إلى فعلهم معه لا أنها أرادت أنه كان يدع العمل أصلا وقد فرضه الله عليه أو ندبه إليه لأنه كان أتقى أمته

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨ .

(٢) سورة النور، الآية: ٦٣ .

(٣) شرح صحيح البخارى، أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم ١١٧/٣.

وأشدهم إجتهادا فإن قيل كيف يجوز أن تكتب عليهم صلاة الليل وقد أكملت الفرائض قيل له صلاة الليل كانت مكتوبة على النبي وأفعاله التي تتصل بالشريعة واجب على أمته الاقتداء به فيها وكان أصحابه إذا رأوه يواظب على فعل في وقت معلوم يقتدون به ويرونه واجبا فالزيادة إنما يتصل وجوبها عليهم من جهة وجوب الاقتداء بفعله لا من جهة ابتداء فرض زائد على الخمس أو يكون أن الله تعالى لما فرض الخمسين وحطها بشفاعته فإذا عادت الأمة فيما استوهبت والتزمت متبرعة ما كانت استعفت منه لم يستنكر ثبوته فرضا عليهم وقد ذكر الله تعالى فريقا من النصارى وأنهم ابتدعوا رهبانية ما كتبناها عليهم ثم لامهم لما قصروا فيها بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[1]. فخشي أن يكونوا مثلهم فقطع العمل شفقة على أمته)[2].

ومن هديه ﷺ في قيام الليل أنه كان يداوم عليه حتى تتورم قدماه فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كان النبي ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه فقلت له: لم تضع ذلك يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً))[3].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: ((أحب

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٧ .

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني الحنفي ٢٦٣/١١.

(٣) أخرجه البخاري من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، كتاب: أبواب التهجد، باب: قيام النبي ﷺ حتى ترم قدماه، برقم ١٠٧٨، وأخرجه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها، كتاب: صفات المنافقين وأعمالهم، باب: إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، برقم ٢٨٢٠ .

الصلاة إلى الله صلاة داود ﷺ وأحب الصيام إلى الله صيام داود ﷺ وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم يوما ويفطر يوما))[١].

وعن مسروق قال: سألت عائشة رضي الله عنها: أي العمل كان أحب إلى النبي ﷺ؟ قالت الدائم قلت متى كان يقوم؟ قالت يقوم إذا سمع الصراخ) [٢].

وعن أبي سلمة رضي الله عنه عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما ألفاه السحر عندي إلا نائماً. تعني النبي ﷺ))[٣].

ومن هديه ﷺ أنه كان يتسوك قبل قيام الليل فعن حذيفة رضي الله عنه: ((أن النبي ﷺ كان إذا قام للتهجد من الليل يشوص فاه بالسواك)) [٤].

قال أبو العباس القرطبي رحمه الله: (يدل على استحباب تعاهُد السواك ؛ لما يكره من تغيّر رائحة الفم بالأبخرة والأطعمة وغيرها ، وعلى أنه يتجنب استعمال السواك في المساجد والمحافل وحضرة الناس، ولم يرو عنه ﷺ أنه تسوّك في المسجد ، ولا في محفل من الناس ؛ لأنه من باب إزالة القذر والوسخ، ولا يليق بالمساجد ولا محاضر الناس. ولا يليق بذوي المروءات فعل ذلك في الملأ من الناس. ويحتمل أن يكون ابتداء النبي ﷺ عند دخول بيته بالسواك ؛ لأنه كان يبدأ بصلاة النافلة ، فقل ما كان يتنفل في المسجد. وقوله: ((كان إذا قام ليتهجد)) ؛ أي: ليصلي بالليل امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: أبواب التهجد، باب: من نام عند السحر، برقم ١٠٧٩، وأخرجه مسلم في الصيام باب: النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقا برقم ١١٥٩

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: أبواب التهجد، باب: من نام عند السحر، برقم ١٠٨٠، وأخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ برقم ٧٤١ .

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: أبواب التهجد، باب: من نام عند السحر، برقم ١٠٨٢، وأخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ برقم٧٤٢ .

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: أبواب التهجد، باب: من نام عند السحر، برقم ١٠٨٥.

نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾ ﴾ (١). وتهجد من الأضداد، يقال: تهجد بمعنى قام، وتهجد بمعنى نام)(٢).

ومن هديه ﷺ في قيام الليل انه كان يطيل القراءة والقيام والوقوف بين يدي الله تعالى فعن ابن مسعود ﵁، قال: ((صليت مع النبي ﷺ ليلة، فلم يزل قائما حتى هممت بأمر سوء! قيل: ما هممت؟ قال: هممت أن أجلس وأدعه) (٣).

قال القاضي عياض ﵀: (وفى هذا الحديث: ما كان من تطويل النبى ﷺ صلاة النافلة بالليل، وحجة لمن يرى طول القيام أفضل) (٤).

وعن حذيفة ﵁، قال: صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المئة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلا: إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ، ثم ركع، فجعل يقول: ((سبحان ربي العظيم)) فكان ركوعه نحوا من قيامه، ثم قال: ((سمع الله لمن حمده، ربنا لك الحمد)) ثم قام طويلا قريبا مما ركع، ثم سجد، فقال: ((سبحان ربي الأعلى)) فكان سجوده قريبا من قيامه) (٥).

قال أبو العباس القرطبي ﵀: (قوله: "يقرأ مترسلاً؛ أي: مترفِّقًا متمهِّلاً ؛

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، تحقيق: محي الدين ديب مستو، أحمد محمد السيد، يوسف علي بديوي، محمود إبراهيم بزال ٣/١٣٦.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، برقم ٧٧٣ .

(٤) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، العلامة القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣/٨٠، ط/١، دار الوفاء للطباعة وللنشر والتوزيع، المنصورة: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، برقم ٧٧٢ .

من قولهم: على رسلك؛ أي: على رفقك. وهذا التطويل، وهذه الكيفية التي صدرت عنه في هذه الصلاة، إنما كانت منه بحسب وقت صادفه، ووجد وجده، فاستطاب ما كان فيه، واستغرقه عما سواه) [(١)].

وقال النووي رحمه الله: (وقوله: (فقلت يصلي بها في ركعة) معناه: ظننت أنه يسلم بها فيقسمها على ركعتين، وأراد بالركعة الصلاة بكمالها وهي ركعتان، ولا بد من هذا التأويل فينتظم الكلام بعده. وعلى هذا فقوله: (ثم مضى) معناه: قرأ معظمها بحيث غلب على ظني أنه لا يركع الركعة الأولى إلا في آخرة البقرة، فحينئذ قلت: يركع الركعة الأولى بها، فجاوز وافتتح النساء.

وقوله: (ثم افتتح النساء فقرأها ثم افتتح آل عمران).

قال القاضي عياض رحمه الله: فيه دليل لمن يقول أن ترتيب السور اجتهاد من المسلمين حين كتبوا المصحف، وإنه لم يكن ذلك من ترتيب النبي ﷺ بل وكله إلى أمته بعده. قال: وهذا قول مالك وجمهور العلماء، واختاره القاضي أبو بكر الباقلاني، قال ابن الباقلاني: هو أصح القولين مع احتمالهما قال: والذي نقوله: إن ترتيب السور ليس بواجب في الكتابة ولا في الصلاة ولا في الدرس ولا في التلقين والتعليم.

قوله: (يقرأ مترسلا إذا مر بآية فيها تسبيح سبح وإذا مر بسؤال سأل وإذا مر بتعوذ تعوذ) فيه: استحباب هذه الأمور لكل قارئ في الصلاة وغيرها، ومذهبنا استحبابه للإمام والمأموم والمنفرد. قوله: (ثم ركع فجعل يقول سبحان ربي العظيم وقال في السجود: سبحان ربي الأعلى) فيه: استحباب تكرير سبحان ربي العظيم في الركوع وسبحان ربي الأعلى في السجود، وهو مذهبنا ومذهب الأوزاعي وأبي حنيفة والكوفيين وأحمد والجمهور وقال مالك: لا يتعين ذكر الاستحباب. قوله: (ثم قال: سمع الله لمن حمده، ثم قام

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، تحقيق: محي الدين ديب مستو، أحمد محمد السيد، يوسف علي بديوي، محمود إبراهيم بزال ٣٩/٧.

طويلا قريبا مما ركع ثم سجد) هذا فيه دليل لجواز تطويل الاعتدال عن الركوع، وأصحابنا يقولون: ولا يجوز ويبطلون به الصلاة) (١).

وعن عبد الله ﷺ قال: ((صليت مع رسول الله ﷺ فأطال حتى هممت بأمر سوء قال قيل وما هممت به قال هممت أن أجلس وأدعه)) (٢).

قال النووي ﷺ: (قوله: (صليت مع رسول الله ﷺ فأطال حتى هممت بأمر سوء ثم قال: هممت بأن أجلس وأدعه) فيه: أنه ينبغي الأدب مع الأئمة والكبار، وألا يخالفوا بفعل ولا قول ما لم يكن حراما، واتفق العلماء على أنه إذا شق على المقتدي في فريضة أو نافلة القيام وعجز عنه جاز له القعود، وإنما لم يقعد ابن مسعود للتأدب مع النبي ﷺ وفيه: جواز الاقتداء في غير المكتوبات، وفيه: استحباب تطويل صلاة الليل) (٣).

وعن جابر ﷺ، قال: سئل رسول الله ﷺ أي الصلاة أفضل ؟ قال: ((طول القنوت))(٤).

قال النووي ﷺ: (قوله ﷺ أفضل الصلاة طول القنوت المراد بالقنوت هنا القيام باتفاق العلماء فيما علمت وفيه دليل للشافعي ومن يقول كقوله أن تطويل القيام أفضل من كثرة الركوع والسجود) (٥).

ومن هديه ﷺ أنه كان يبدأ قيام الليل بركعتين خفيفتين فعن أبي هريرة ﷺ: أن النبي ﷺ، قال: ((إذا قام أحدكم من الليل فليفتتح الصلاة بركعتين خفيفتين))(٦).

---

(١) شرح صحيح الإمام مسلم، النووي ١٢٣/٣.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب تطويل القراءة فى صلاة الليل.، برقم ١٨٥١ .

(٣) شرح صحيح الإمام مسلم، النووي ١٢٤/٣.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: أفضل الصلاة طول القنوت، برقم ٧٥٦.

(٥) شرح صحيح الإمام مسلم، النووي ٣٥/٦ .

(٦) أخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه، برقم ٧٦٨ .

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: ((كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين خفيفتين)) (١).

ومن هديه ﷺ في قيام الليل أنه كان إذا فاتته صلاة الليل قضاها فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كان رسول الله ﷺ إذا فاتته الصلاة من الليل من وجع أو غيره، صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة)) (٢).

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (وهذا الحديث الذي ساقه المؤلف فيه أن النبي ﷺ كان إذا ترك صلاة الليل من وجع أو غيره صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة لأنه ﷺ يوتر بإحدى عشرة ركعة فإذا قضى الليل ولم يوتر لنوم أو لشبهه فإنه يقضي هذه الصلاة لكن لما فات وقت الوتر صار المشروع أن يجعله شفعا وبناء على ذلك فمن كان يوتر بثلاث ونام عن وتره فليصل في النهار أربعا وإذا كان يوتر بخمس فليصل ستا وإن كان يوتر بسبع فليصل ثماني وإن كان يوتر بتسع فليصل عشرا وإن كان يوتر بإحدى عشرة ركعة فليصل اثنتي عشرة ركعة كما كان النبي ﷺ يفعله وفي هذا دليل على أن العبادة المؤقتة إذا فاتت عن وقتها لعذر فإنها تقضى أما العبادة المربوطة بسبب فإنه إذا زال سببها لا تقضى ومن ذلك سنة الوضوء مثلا إذا توضأ الإنسان فإن من السنة أن يصلي ركعتين فإذا نسى ولم يذكر إلا بعد مدة طويلة سقطت عنه وكذلك إذا دخل المسجد وجلس ناسيا ولم يذكر إلا بعد مدة طويلة فإن تحية المسجد تسقط عنه لأن المقرون بسبب لابد أن يكون مواليا للسبب فإن فصل بينهما سقط) (٣).

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه، برقم ٧٦٨ .

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض، برقم ٧٤٦ .

(٣) شرح رياض الصالحين، الشيخ محمد بن صالح العثيمين ١/١٧٥.

وعن عمر بن الخطاب ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ: ((من نام عن حزبه، أو عن شيء منه، فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر، كتب له كأنما قرأه من الليل)) (١).

ومن هديه ﷺ في قيام الليل أنه كان يبدأ القيام بالدعاء فعن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ﵁ قال: سألت عائشة أم المؤمنين ﵂ بأى شيء كان نبى الله ﷺ يفتتح صلاته إذا قام من الليل قالت: ((كان إذا قام من الليل افتتح صلاته « اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم)) (٢).

وعن علي بن أبى طالب ﵁ عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: ((وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت. أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت لبيك وسعديك والخير كله في يديك والشر ليس إليك أنا بك وإليك تباركت وتعاليت أستغفرك وأتوب إليك ». وإذا ركع قال « اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت خشع لك سمعى وبصرى ومخى وعظمى وعصبى ». وإذا رفع قال « اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد ». وإذا سجد قال « اللهم لك

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض، برقم ٧٤٧ .

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الدعاء فى صلاة الليل وقيامه، برقم ١٨٤٧ .

سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين ». ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم « اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت)) (١).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄ قَالَ: ((بِتُّ عِنْدَ مَيْمُونَةَ ﵂ فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَتَى حَاجَتَهُ غَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ ثُمَّ نَامَ ثُمَّ قَامَ فَأَتَى الْقِرْبَةَ فَأَطْلَقَ شِنَاقَهَا ثُمَّ تَوَضَّأَ وُضُوءًا بَيْنَ وُضُوءَيْنِ لَمْ يُكْثِرْ وَقَدْ أَبْلَغَ فَصَلَّى فَقُمْتُ فَتَمَطَّيْتُ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَرَى أَنِّي كُنْتُ أَتَّقِيهِ فَتَوَضَّأْتُ فَقَامَ يُصَلِّي فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ فَأَخَذَ بِأُذُنِي فَأَدَارَنِي عَنْ يَمِينِهِ فَتَتَامَّتْ صَلَاتُهُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً ثُمَّ اضْطَجَعَ فَنَامَ حَتَّى نَفَخَ، وَكَانَ إِذَا نَامَ نَفَخَ – فَآذَنَهُ بِلَالٌ بِالصَّلَاةِ فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ، وَكَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا وَفِي بَصَرِي نُورًا وَفِي سَمْعِي نُورًا وَعَنْ يَمِينِي نُورًا وَعَنْ يَسَارِي نُورًا وَفَوْقِي نُورًا وَتَحْتِي نُورًا وَأَمَامِي نُورًا وَخَلْفِي نُورًا وَاجْعَلْ لِي نُورًا)) (٢).

وأما هديه ﷺ في عدد ركعات قيام الليل، ومدة قيامه فعن سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر ﵄ قال: إن رجلا قال يا رسول الله كيف صلاة الليل قال (مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بواحدة)) (٣).

وعن ابن عباس ﵄ قال: ((كانت صلاة النبي ﷺ ثلاثة عشرة ركعة يعني بالليل)) (٤).

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الدعاء فى صلاة الليل وقيامه، برقم ١٨٤٨ .

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الدعوات، باب: الدعاء إذا انتبه بالليل، برقم ٥٩٥٧ .

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: أبواب التهجد، باب: كيف كان صلاة النبي ﷺ وكم كان النبي ﷺ يصلي من الليل، برقم ١٠٨٦.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: أبواب التهجد، باب: كيف كان صلاة النبي ﷺ وكم كان النبي ﷺ يصلي من الليل، برقم ١٠٨٧. وأخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه، برقم ٧٦٤ .

وعن أبي حصين عن يحيى بن وثاب عن مسروق قال: سألت عائشة رضي الله عنها عن صلاة رسول الله ﷺ بالليل فقالت: ((سبع وتسع وإحدى عشرة وسوى ركعتي الفجر)) (١).

وعن أنس رضي الله عنه قال: ((كان رسول الله ﷺ يفطر من الشهر حتى نظن أن لا يصوم منه ويصوم حتى نظن أن لا يفطر منه شيئا وكان لا تشاء أن تراه من الليل مصليا إلا رأيته ولا نائما إلا رأيته)) (٢).

وعن أبي إسحق عن الأسود قال: سألت عائشة رضي الله عنها كيف صلاة النبي ﷺبالليل ؟. قالت كان ينام أوله ويقوم آخره فيصلي ثم يرجع إلى فراشه فإذا أذن المؤذن وثب فإن كان به حاجة اغتسل وإلا توضأ وخرج)) (٣).

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه أخبره: أنه سأل عائشة رضي الله عنها كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ في رمضان ؟ فقالت ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة يصلي أربعا فلا تسل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي أربعا فلا تسل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثا. قالت عائشة فقلت يارسول الله أتنام قبل أن توتر ؟. فقال: ((يا عائشة إن عيني تنامان ولا ينام قلبي))(٤).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: أبواب التهجد، باب: كيف كان صلاة النبي ﷺ وكم كان النبي ﷺ يصلي من الليل، برقم ١٠٨٨. وأخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ، برقم ٧٣٨ .

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: أبواب التهجد، باب: قيام النبي ﷺ بالليل و نومه وما نسخ من قيام الليل، برقم ١٠٩٠.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: أبواب التهجد، باب: من نام أول الليل وأحيا آخره، برقم ١٠٩٥. وأخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ، برقم ٧٣٩ .

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: أبواب التهجدباب قيام النبي ﷺ بالليل في رمضان وغيره، برقم ١٠٩٦. وأخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ، برقم ٧٣٨ .

ومن خلال ما سبق من أحاديث يظهر أن النبي ﷺ لم يكن يدع قيام الليل حضرًا ولا سفرًا، وكان قيامه ﷺ، بالليل إحدى عشرة ركعة، أو ثلاث عشرة، وكان ﷺ يصلي أول الليل أربع ركعات أو ست ركعات ثم يأوي إلى فراشه، وكان إذا استيقظ بدأ بالسواك ثم يذكر الله ويقول عند استيقاظه: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور» ثم يتطهر، ثم يصلي ركعتين خفيفتين، وكان ﷺ يقوم تارة إذا انتصف الليل، أو قبله بقليل، أو بعده بقليل، وربما كان يقوم إذا سمع الصارخ – وهو الديك – وهو إنما يصيح في النصف الثاني، كان يقطع ورده تارة، ويصله تارة وهو الأكثر.

واما قيامه بالليل ووتره أنواع فمنها:

النوع الأول: أنه ﷺ يقطع ورده تارة ويصله تارة كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في حديث بيته عنده، أنه ﷺ استيقظ فتسوك، وتوضأ، وهو يقول: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾[(١)].

فقرأ هؤلاء الآيات حتى ختم السورة، ثم قام فصلى ركعتين أطال فيهما القيام والركوع والسجود، ثم انصرف، فنام حتى نفخ ثم فعل ذلك ثلاث مرات بست ركعات، كل ذلك يستاك ويتوضأ، ويقرأ هؤلاء الآيات، ثم أوتر بثلاث فأذن المؤذن، فخرج إلى الصلاة وهو يقول: ((اللهم اجعل في قلبي نورًا، وفي لساني نورًا، واجعل في سمعي نورًا، واجعل في بصري نورًا، واجعل من خلفي نورًا، ومن أمامي نورًا، واجعل من فوقي نورًا، ومن تحتي نورًا، اللهم أعطني نورًا))[(٢)]. ولم يذكر ابن عباس رضي الله عنهما افتتاحه بركعتين خفيفتين كما ذكرته عائشة، فإما أنه كان يفعل هذا تارة، وهذا تارة، وإما أن تكون عائشة حفظت ما لم يحفظه ابن عباس رضي الله عنهما.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٠.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الدعاء فى صلاة الليل وقيامه، برقم ٧٦٣.

النوع الثاني: الذي ذكرته عائشة أنه كان يفتتح صلاته بركعتين خفيفتين، ثم يتم ورده إحدى عشرة ركعة، يسلم من كل ركعتين ويوتر بركعة.

النوع الثالث: ثلاث عشرة ركعة كذلك.

النوع الرابع: يصلي ثماني ركعات، يسلم من كل ركعتين، ثم يوتر بخمس سردًا متواليًا، لا يجلس في شيء إلا في آخرهن.

النوع الخامس: تسع ركعات، يسرد منهن ثمانيًا لا يجلس في شيء منهن إلا في الثامنة، يجلس يذكر الله تعالى ويحمده ويدعوه، ثم ينهض ولا يسلم ثم يصلي التاسعة ثم يقعد ويتشهد ويسلم ثم يصلي ركعتين جالسًا بعدما يسلم.

النوع السادس: يصلي سبعًا كالتسع المذكورة، ثم يصلي بعدها ركعتين جالسًا.

النوع السابع: أنه كان يصلي مثنى مثنى، ثم يوتر بثلاث لا يفصل بينهن.

النوع الثامن: ما رواه النسائي عند حذيفة، أنه صلى عند النبي ﷺ، في رمضان فركع فقال في ركوعه: «سبحان ربي العظيم» مثل ما كان قائمًا، ثم جلس يقول: «رب اغفر لي، رب اغفر لي» مثل ما كان قائمًا ثم سجد فقال: «سبحان ربي الأعلى» مثل ما كان قائمًا فما صلى إلا أربع ركعات حتى جاء بلال يدعوه إلى الصلاة)) [1]. وأوتر أول الليل، ووسطه، وآخره، وقام ليلة تامة بآية يتلوها ويرددها حتى الصباح وهي: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ [2].

---

(١) أخرجه النسائي، كتاب: قيام الليل وتطوع النهار، باب: تسوية القيام والركوع والقيام بعد الركوع والسجود والجلوس بين السجدتين في صلاة الليل، برقم ١٦٦٥، وقال الشيخ الألباني: صحيح (انظر: صحيح وضعيف سنن النسائي ٤/٣٠٩)

(٢) سورة المائدة، الآية: ١١٨ .

قال ابن القيم رحمه الله مبيناً هدي النبي ﷺ في قيام الليل: (لم يكن ﷺ يدع صلاة الليل حضرا ولا سفرا، وإذا غلبه نوم أو وجع، صلى من النهار اثنتي عشرة ركعة، فسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول: في هذا دليل على أن الوتر لا يقضى لفوات محله، كتحية المسجد، والكسوف، والاستسقاء، لأن المقصود به أن تكون آخر صلاة الليل وترا. وكان قيامه بالليل إحدى عشرة ركعة، أو ثلاث عشرة ركعة، حصل الاتفاق على احدى عشرةركعة، واختلف في الركعتين الأخيرتين، هل هما ركعتا الفجر، أم غيرهما ؟

فإذا انضاف ذلك إلى عدد ركعات الفرض، والسنن الراتبة التي كان كان يحافظ عليها، جاء مجموع ورده الراتب بالليل والنهار، أربعين ركعة، كان يحافظ عليها دائما، وما زاد على ذلك فغير راتب.

فينبغي للعبد أن يواضب على هذا الورد دائما إلى الممات، فما أسرع الإجابة، وأعجل فتح الباب لمن يقرعه كل يوم وليلة أربعين مرة، والله المستعان.

وكان إذا استيقظ من الليل قال: " لا إله إلا أنت سبحانك، اللهم أستغفرك لذنبي، وأسألك رحمتك، اللهم زدني علما، ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني، وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب "

وكان إذا انتبه من نومه قال: " الحمد لله الذي أحيانا بعد ماأماتنا وإليه النشور "

ثم يتسوك وربما قرأ العشر آيات من من آخر سورة (آل عمران) من قوله: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[1]. ثم يتطهر، ثم يصلي ركعتين خفيفتين، وأمر بذلك في حديث أبي هريرة.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٠.

وكان يقوم إذا انتصف الليل أو قبله أو بعده بقليل، وكان يقطع ورده تارة، ويصله تارة، وهو أكثر، فتقطيعه كما قال ابن عباس: "إنه بعدما صلى ركعتين انصرف، فنام، فعل ذلك ثلاث مرات في ست ركعات، كل ذلك يستاك ويتوضأ، ثم أوتر بثلاث ".

وكان وتره أنواعاً، منها: هذا، ومنها: أنه يصلي ثماني ركعات يسلم بين كل ركعتين، ثم يوتر بخمس سردا متواليات، لا يجلس إلا في آخرهن، ومنها: تسع ركعات يسرد منهن ثمانيا ،لا يجلس إلا في الثامنة، يجلس فيذكر الله، ويحمده، ويدعوه، ثم ينهض ولايسلم، ثم يصلي التاسعة، ثم يقعد فيتشهد ويسلم، ثم يصلي ركعتين بعدما يسلم. ومنها أنه يصلي سبعا، كالتسع المذكورة، ثم يصلي بعدها ركعتين جالسا. ومنها أنه يصلي مثنى مثنى، ثم يوتر بثلاث لا يفصل فيهن، وهذا رواه أحمد، عن عائشة، أنه: كان يوتر بثلاث لا فصل فيهن، وفيه نظر، قال حرب: سئل أحمد عن الوتر؟

قال: يسلم في الركعتين وإن لم يسلم، رجوت ألا يضره، إلا ان التسليم أثبت عن النبي ﷺ. وقال في رواية أبي طالب: أكثرالحديث وأقواه ركعة، فأنا أذهب إليها.

وكانت صلاته بالليل ثلاثة أنواع: أحدها: وهو أكثرها صلاته قائما. الثاني: أنه كان يصلي قاعدا. الثالث: انه كان يقرأ قاعدا، فإذا بقي يسير من قراءته قام فركع قائما، وثبت عنه ﷺ أنه كان يصلي ركعتين بعد الوتر جالسا تارة، وتارة يقرأ فيهما جالسا فإذا أراد أن يركع قام فركع.

وقد أشكل هذا على كثير، وظنوه معارضا لقوله: " اجعلواآخر صلاتكم بالليل وترا"، قال أحمد: لا افعله ولا امنع من فعله، وأنكرهم الك. والصواب أن الوتر عبادة مستقلة، فتجري الركعتان بعده مجرى سنة المغرب من المغرب، فهما تكميل للوتر.

ولم يحفظ عنه ﷺ أنه قنت في الوتر، إلا في حديث رواه ابن ماجة،

قال أحمد رحمه الله: ليس يروى فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء، ولكن كان عمر رضي الله عنه يقنت من السّنة إلى السّنة.

وروى أهل السنن حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما، وقال الترمذي حديث حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي الحوراء السعدي، انتهى.

والقنوت في الوترمحفوظ عن عمر، وأبي، وابن مسعود رضي الله عنهم. وذكر النسائي، من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: كان يقرأ في الوتر ب(سبح) و(قل يا أيهاالكافرون) و(قل هو الله أحد)، فإذا سلم قال:" سبحان الملك القدوس "، ثلاث مرات يمد صوته في الثالثة ويرفع.

وكان صلى الله عليه وسلم يرتل سورة حتى تكون أطول من أطول منها، والمقصود من القرآن تدبره وتفهمه، والعمل به، فاتخذوا تلاوته عملا، قال شعبة: حدثنا أبو حمزة قال: قلت لابن عباس رضي الله عنهما: إني رجل سريع القراءة، وربما قرأت القرآن في اللية مرة أومرتين. قال ابن عباس رضي الله عنهما: لأن أقرأ سورة واحدة أحب إلي من أن أفعل ذلك الذي تفعل، فإن كنت فاعلا لابد، فاقرأ قراءة تسمع أذنيك، ويعيه قلبك. وقال إبراهيم: قرأ علقمة على عبد الله،فقال: رتل فداك أبي وأمي، فإنه زين للقرآن.

وقال عبد الله: لا تهذوا القرآن هذ الشعر، ولا تنثروه نثر الدقل ،وقفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة. وقال: إذا سمعت الله يقول: " يا أيها الذين آمنوا " ،فاصغ لها سمعك، فإنه تؤمر به، أو شر تنهى عنه.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسر بالقراءة في صلاة الليل تارة، ويجهر تارة،ويطيل القيام تارة، ويخففه تارة، وكان يصلي التطوع بالليل والنهار على راحلته في السفر، قبل أي وجهت وجهت به، فيركع ويسجد عليها ايماء، ويجعل سجوده أخفضمن ركوعه) [1].

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ١/٣٢٢-٣٢٥.

وقد علق الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله على الأحاديث التي أوردها الإماما النووي رحمه الله في رياض الصالحين في قيام الليل، وبين رحمه الله هدي النبي ﷺ في ذلك فقال: (هذه الأحاديث في بيان صلاة النبي ﷺ في الليل.

منها: حديث عائشة الأول أن النبي ﷺ كان يصلي من الليل إحدى عشرة ركعة وقد بين ذلك في أحاديث أخرى، أنه يسلم من ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعة، يعني: يصلي إحدى عشرة ركعة، يسلم من اثنتين، ويوتر بواحدة، ثم كان ﷺ يصلي ركعتين قبل الغداة، يعني إذا أذن الفجر صلى ركعتين، وكان يخفف هاتين الركعتين حتى تقول عائشة أقرأ بأم القرآن؟ لشدة تخفيفه لهما، ثم يضطجع على جنبه الأيمن حتى يأتيه المؤذن يؤذنه بالصلاة ﷺ ففي هذا دليل على أن قيام الليل إحدى عشرة ركعة يوتر بواحدة، ودليل على أنه ينبغي أن يصلي الإنسان الراتبة في بيته أفضل من المسجد، لاسيما الإمام، وفيه أيضا أن الإمام لا يخرج من بيته إلا للإقامة، يبقى في بيته حتى يأتي وقت الإقامة، فيخرج إلى المسجد ويصلي، هذا هو الأفضل أفضل من أن يتقدم الإمام ويصلي بالمسجد أما غير الإمام فينتظر الإمام، والإمام ينتظره غيره، فلذلك كان الأفضل في حقه أن يتأخر إلى قرب إقامة الصلاة، إن لم يكن لهذا سبب أو في تقدمه مصلحة مثل أن يكون تقدمه يشجع المصلين فيتقدمون، ولو تأخر لكسلوا، فهذا أيضا للمصلحة.

وفي حديثها الآخر أن النبي ﷺ كان لا يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة، لأنها سئلت كيف كانت صلاة النبي ﷺ في رمضان؟ قالت: كان لا يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة يصلي أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثا هذه أربع وأربع وثلاث: إحدى عشرة، هذا هو السنة

وهو الأفضل ألا يزيد في صلاة الليل على إحدى عشرة ركعة أو ثلاث عشرة ركعة.

وقولها رضي الله عنها: يصلي أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن.

قد ظن بعض الناس أنها أربع مجموعة بسلام واحد، وهذا خطأ لأنه قد جاء مفصلا مبينا أنها أربع ركعات، يسلم من كل ركعتين وأربع ركعات يسلم من كل ركعتين وثلاث ركعات، فيكون قولها: أربعا لا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي. ... يكون فيه دليل على أنه إذا صلى الأربع بسلام استراح قليلا لقولها: ثم يصلي وثم للترتيب في المهلة ثم يصلي الأربع على ركعتين ثم يسلم.

وأنا أشير في هذه المسألة أنه ينبغي للإنسان ألا يتعجل في فهم النصوص، بل يجمع شواردها حتى يضم بعضها إلى بعض ليتبين له الأمر، فبعض الإخوان الذين بدءوا يتعلمون ولاسيما علم الحديث، صاروا يصلون بالناس أربع ركعات جميعا، وهذا غلط، غلط على السنة، وفهم خاطئ، لأن النبي ﷺ سئل عن صلاة الليل فقال: مثنى مثنى لا يمكن أن يصلي أربعا، ممكن أن يصلي خمسا جميعا، وسبعا جميعا، وتسعا جميعا.

أما حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه صلى مع النبي ﷺ ذات ليلة لأن النبي ﷺ بابه مفتوح، بيته بيت للأمة، للصحابة، يأتي الواحد منهم يحب أن يصلي مع النبي ﷺ، لا يقول له لا تصل معي، صل في بيتك، لا بل يفتح له صدره، ويدخل البيت ويصلي معه.

وكان ابن مسعود رضي الله عنه من الذين يخدمون الرسول ﷺ صاحب السواك، ينظف سواك الرسول، وصاحب الوساد وساده وصاحب النعل.

فكان يدخل على الرسول ويصلي معه، فدخل فصلى معه ذات ليلة فلما دخل في الصلاة أطال النبي ﷺ القيام، يقول: حتى هممت بأمر سوء، قيل: بماذا هممت يا أبا عبد الرحمن؟ قال: هممت أن أجلس وأدعه، وهو شاب، والرسول ﷺ أسن منه، ومع ذلك كان يقف ويطيل حتى يعجز الشباب عن

قيامه ﷺ. وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، لكنه يصلي ﷺ شكرا لله عز وجل، كما قال: أفلا أحب أن أكون عبدا شكورا.

والمرة الثانية صلى معه حذيفة بن اليمان رضي الله عنه فبدأ بسورة البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ولكنه مضى، فقلت: يركع بها، ولكنه أتمها ثم بدأ بسورة النساء، فأتمها، ثم بدأ بسورة آل عمران فأتمها، يرتل ﷺ، يرتل القرآن، وهذه السور الثلاث تمثل خمسة أجزاء وربع.

بالترتيل كم تستغرق من وقت ؟ ! والنبي ﷺ واقف لا يمر بآية رحمة إلا سأل، ولا آية تسبيح إلا سبح، ولا آية وعيد إلا تعوذ فيجمع بين القراءة والذكر والدعاء ﷺ، مع هذا الطول العظيم، ثم ركع، فكيف كان ركوعه؟! كان ركوعه نحوا من قيامه، أطال الركوع ثم رفع قائلا: سمع الله لمن حمده، وكان قيامه نحوا من ركوعه، ثم سجد، فكان سجوده نحوا من قيامه، وهكذا صلاته كانت متناسبة، وإذا أطال في القراءة أطال في الركوع والسجود، يقول في الركوع: سبحان ربي العظيم، ويقول في السجود: سبحان ربي الأعلى، ويقول أيضا إضافة إلى ذلك: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي

ويقول أيضا: سبوح قدوس رب الملائكة والروح.

فالصلاة روضة من رياض العبادات، فيها من كل زوج بهيج، قرآن وذكر ودعاء وتسبيح وتكبير وتعوذ، ولهذا كانت هي أفضل العبادات البدنية، أفضل من الصيام، وأفضل من الزكاة، وأفضل من الحج، وأفضل من كل العبادات، إلا التوحيد، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، لأن هذا هو مفتاح الإسلام. فالحاصل أن هذه صفة صلاة النبي ﷺ من الليل)[1].

---

(١) شرح رياض الصالحين، الشيخ محمد بن صالح العثيمين ١٣٤٦/١.

المبحث الرابع
هدي الصحابة رضي الله عنهم والتابعين في قيام الليل

ولما كان ﷺ يقوم الليل حتى تتفطر قدماه، تربى أصحابه الكرام رضي الله عنهم على منهجه ﷺ، فحرصوا على القيام بهذه العبادة الجليلة اقتداء بالنبي ﷺ، ومن أبرز ما جاء في ذلك:

ما كان من عمر رضي الله عنه حيث جاء عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يصلي من الليل ما شاء الله حتى إذا كان من آخر الليل أيقظ أهله للصلاة يقول لهم الصلاة الصلاة ثم يتلو: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ (١).

قال ابن عبد البر رحمه الله: (ففيه ما كان عليه عمر رضي الله عنه من قيام الليل وأنه لم تشغله أمور المسلمين وما كان إليه منهم عن الصلاة بالليل وذلك لفضل صلاة الليل، وفيه أنه لم يكن يكلف أهله من الصلاة ما كان هو يفعله منها بالليل، ويحتمل أن يكون إيقاضه أهله ليدركوا شيئا من صلاة الأسحار والاستغفار فيها، ويحتمل أن يكون إيقاظه لهم للصلاة المفروضة صلاة الصبح وأيها كان فإنه امتثل في ذلك الآية التي ذكر مالك وامتثل والله أعلم قول الله عز وجل: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ (٢).

قال أهل العلم بتأويل القرآن ومعانيه أدبوهم وعلموهم)(٣).

---

(١) سورة طه، الآية: ١٣٢.

(٢) سورة التحريم، الآية: ٦.

(٣) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض ٦٩/٢، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

وعن سعيد بن المسيب رَحِمَهُ اللهُ قال: (كان عمر يحب الصلاة في جوف الليل يعني في وسط الليل) (١).

إن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لما مات تزوج عثمان بن العاص - وكان جاراً له - إحدى زوجات عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقال: والله ما تزوجتها رغبة في نكاح ولا ولد، وإنما تزوجتها لتخبرني عن ليل عمر. فعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان في وجهه خطان أسودان من كثرة الدموع من خشية الله، ولقد قام الليل بآية فما زال يرددها ويبكي حتى أغمي عليه، فمرض من جراء هذه الآية حتى عاده الصحابة شهراً، وكان ينعس وهو قائم بعد توليه الخلافة، فقالوا له: يا أمير المؤمنين ! ألا تنام؟ فقال: إن نمت بالنهار ضيعت مصالح الرعية، وإن نمت بالليل ضيعت حظي مع الله)(٢).

وكذلك كانت ابنته أم المؤمنين حفصة بنت عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، ذكر الإمام الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ في كتاب الإصابة بسند حسّنه: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طلق حفصة بنت عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ذات يوم، فنثر عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ التراب على وجهه، وقال: ما يعبأ الله بك يا ابن الخطاب بعد هذا؟ فنزل جبريل وقال للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إن الله يأمرك أن تراجع حفصة؛ لأنها صوامة قوامة، وإنها زوجتك في الجنة)(٣).

روي أن عمرَ بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان يَمُرُّ بالآية من ورده بالليل فيسقط، حتى يعاد منها أيَّامًا كثيرة كما يُعادُ المريضُ (٤).

---

(١) صفة الصفوة، أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، تحقيق: محمود فاخوري، ومحمد رواس، دار المعرفة ١٤٠٥هـ ١/٢٨٦.

(٢) الإبانة عن أسباب الإعانة على صلاة الفجر وقيام الليل، رقية بنت محمد المحارب ص ٢٥.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، تحقيق: علي محمد البجاوي ١/٣٥٢، ط/١، دار الجيل، بيروت: ١٤١٢هـ.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي، تحقيق: محمد عوامة ٧/١١٥، ٣٤٤٤٦، ط/ دار القبلة، مصر.

وأما عثمان بن عفان رضي الله عنه فعن الزبير بن عبد الله رضي الله عنه عن جدة له يقال لها رهيمة قالت: كان عثمان يصوم الدهر ويقوم الليل إلا هجعة من أوله.

وعن ابن سيرين رحمه الله قال قالت امرأة عثمان حين قتل عثمان رضي الله عنه قتلتموه وإنه ليحيي الليل كله بالقرآن وعنه قال قالت امرأة عثمان بن عفان حين أطافوا يريدون قتله إن تقتلوه أو تتركوه فإنه كان يحيي الليل كله في ركعة يجمع فيها القرآن.

وعن الزبير بن عبد الله قال حدثتني جدتي أن عثمان بن عفان رضي الله عنه كان لا يوقظ أحدا من أهله من الليل إلا أن يجده يقظانا فيدعوه فيناوله وضوءه وكان يصوم الدهر.

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾(١).

قال هو عثمان بن عفان رضي الله عنه وحشرنا في زمرته وأماتنا على سنته ومحبته)(٢).

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه حريصاً على قيام الليل فعن أبي صالح قال: قال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه لضرار بن ضمرة صف لي علياً رضي الله عنه فقال أو تعفيني قال: بل صفه قال أو تعفيني قال: لا أعفيك قال:

أما إذا فإنه والله كان بعيد المدى شديد القوى يقول فصلاً ويحكم عدلاً يتفجر العلم من جوانبه وينطق بالحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل وظلمته كان والله غزير الدمعة طويل الفكرة يقلب

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٩ .

(٢) صفة الصفوة، أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، تحقيق: محمود فاخوري، ومحمد رواس، ٣٠٢/١.

كفه ويخاطب نفسه يعجبه من اللباس ما خشن ومن الطعام ماجشب كان والله كأحدنا يجيبنا إذا سألناه ويبتدئنا إذا أتيناه ويأتينا إذا دعوناه ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لانكلمه هيبة ولا نبتديه لعظمه فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم يعظم أهل الدين ويحب المساكين لا يطمع القوي في باطله، ولا ييئس الضعيف من عدله وأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سجوفه وغارب نجومه وقد مثل في محرابه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين وكأني أسمعه وهو يقول يا دنيا يا دنيا أبي تعرضت أم لي تشوفت هيهات هيهات غري غيري قد بتتك ثلاثا لارجعة لي فيك فعمرك قصير وعيشك حقير وخطرك كبير آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق

قال فذرفت دموع معاوية ﵁ حتى خرت على لحيته فما يملكها وهو ينشفها بكمه وقد اختنق القوم بالبكاء ثم قال معاوية ﵁ رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار قال حزن من ذبح ولدها في حجرها فلا ترقأ عبرتها ولا يسكن حزنها) (١).

وترجمان القرآن عبد الله بن عباس﵄ كان تحت عينيه مثل الشراك البالي من كثرة الدموع، وكان يصلي نصف الليل ونصفه الآخر يبكي، ويكثر في النشيج، ويردد قول الله تعالى إلى أن يصبح ﴿ وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ ﴾ (٢).

وأبو هريرة ﵁ راوية الإسلام تناوب قيام الليل هو وزوجته وخادمه، فكان يقوم ثلثاً ثم ينام، وتقوم زوجته ثلثاً ثم تنام، ويقوم خادمه ثلثاً. فإذا قام هذا نام هذا.

---

(١) صفة الصفوة، أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، تحقيق: محمود فاخوري، ومحمد رواس، ٣١٥/١.

(٢) سورة ق، الآية: ١٩ .

وكان يسبح بعد صلاة الصبح اثنتي عشرة ألف تسبيحة، أي: أن له اثنتي عشرة ألف نخلة غرست في الجنة، وكان يقول: إنما أسبح الله بقدر ذنبي، وفي رواية: بقدر ديتي) (١).

وتميم الداري ﷺ الصحابي الذي تفرد برؤية الجساسة، كان بعض الشباب من أبناء الصحابة يقولون عنه: أدركناه شيخاً كبيراً وما كنا نستطيع أن نصلي وراءه صلاة الليل أبداً؛ لطول صلاته، لذلك أجرى الله عز وجل الكرامات على يديه، فقد هبت نار عظيمة في أيام خلافة عمر بن الخطاب ﷺ فقال: قم لها ياتميم، قال تميم: ومن أنا؟ – تواضعاً منه– فاستحلفه بالله أن يقوم، فأومأ بيده هكذا حتى أخرجها خارج المدينة وأدخلها إلى مغارة أو كهف، فقال عمر: ليس من سمع كمن رأى، لمثل هذا كنا نحبك يا أبا رقية.

وأبو ريحانة الصحابي الجليل ﷺ قفل عائداً من الغزو فأعدت له زوجه الطعام بالليل، فأكل ثم قام إلى مصلاه إلى الصباح، فعاتبته زوجه، فقالت: يا أبا ريحانة: غزوت فأطلت الغزو ثم عدت، أفما كان لنا فيك نصيب؟ قال: لو خطرتي لي على بال لكان لك في نصيب. قالت: يرحمك الله! ومن الذي شغلك عنا؟ قال: إني كنت في سورة فكرهت أن أقطعها) (٢).

أسيد بن حضير ﷺ صحابي جليل، بينما هو في مريضه ليلاً يصلي ويقرأ بسورة البقرة، وكانت فرسه مربوطة بجواره، وكان ابنه يحيى قريباً منها، فكان إذا قرأ جالت الفرس، فإذا سكت سكنت، فإذا قرأ جالت، فخاف على ابنه، فأمسك عن القراءة، ثم نظر إلى السماء فإذا فيها ظل كأمثال المصابيح، فلما أصبح غدا إلى النبي ﷺ وأخبره بالقصة، فقال النبي ﷺ:

---

(١) الإبانة عن أسباب الإعانة على صلاة الفجر وقيام الليل، رقية بنت محمد المحارب، ص ٤٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٦.

(اقرأ يا ابن حضير، فلقد أتيت مزماراً من مزامير داود، قال: يا رسول الله كان ابني يحيى قريباً منها فخشيت أن تطأه الفرس بحافرها، فأمسكت عن القراءة، ثم نظرت إلى السماء فإذا فيها أمثال الظلة فيها أمثال المصابيح، قال: أتدري ما ذاك؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: تلك السكينة دنت لقراءتك)، وفي رواية: (تلك الملائكة دنت لقراءتك ولو ظللت تقرأ لرأيت منها الأعاجيب)، وفي رواية: (ولو ظللت تقرأ لاستمرت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم)) (١). فقد كانت بيوتهم بيوت النور.

وثابت بن قيس رضي الله عنه كان الصحابة رضي الله عنهم يمرون بالليل على داره ويقولون: أما تنظرون إلى دارثابت بن قيس رضي الله عنه إنها لتبهر بمصابيح منذ الليل)(٢).

وعن نافع أنَّ ابنَ عمر رضي الله عنه كان إذا فاتَتْه صلاةُ العشاء في جماعة أحيى بقيَّةَ ليله (٣)، وكان رضي الله عنه كلما استيقظ من الليل صلى.

وكان ابنُ مسعود رضي الله عنه إذا هدأت العيونُ قام فيُسْمَعُ له دَويٌّ كَدَويِّ النَّحل حتى يصبحَ (٤).

واما التابعون فقد كانوا يحرصون على قيام الليل وإحيائه في طاعة الله وعبادته فقد كان طاووس رحمه الله إذا اضطجع على فراشه تَقَلَّبَ عليه كما تَقَلَّبُ الحَبَّةُ في المقلاة ثم يثبُ ويصلي إلى الصباح، ثم يقول: طَيَّرَ ذكرُ جهنم نومَ العابدين (٥).

وقال الحسنُ رحمه الله: ما نعلم شيئًا أَشَدَّ من مكابدة اللَّيل ونفقة هذا المال، فقيل: ما بالُ المتهجِّدين من أحسن الناس وجوهًا؟ قال: لأنهم خلوا بالرحمن

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل سورة الكهف، برقم ٤٧٢٤.

(٢) الإبانة عن أسباب الإعانة على صلاة الفجر وقيام الليل، رقية بنت محمد المحارب، ص ٤٧.

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الحافظ أبو نعيم ١/١٦٣، ط/ دار الكتاب العربي.

(٤) مختصر قيام الليل، شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي، اختصرهما العلامة أحمد بن علي المقريزي ص ٢٥٠، ط/ دار الجيل، بيروت: ١٩٩٥م.

(٥) إحياء علوم الدين، الإمام أبو حامد الغزالي ٢/٤٥٢، ط/١، دار الفكر، بيروت: ١٤٢٤هـ.

فألبسهم نورًا من نوره(١).

قال الفضيلُ ﷺ: إني لأستقبلُ الليلَ من أوَّله فيهولني طولُه، فأَفْتَتح القرآن فأصبح وما قضيتُ نَهمتي (٢).

ويتضح من ذلك اللّذَّة التي يشعر بها في قيام الليل حتى لا يشعر بالوقت؛ بل يحسُّه قصيرًا في جانب مناجاته لربِّه؛ وليس ذلك كلَّ ليلة.. فحاشا أن يخالفوا سنةَ رسول الله؛ وإنَّما أخبر عن هذا الحديث ولو كان ليلة.

وقال أيضًا: إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محرومٌ وقد كثرت خطيئتك.

وكان للحسن بن صالح ﷺ جاريةٌ فباعها من قوم، فلما كان في جوف الليل قامت الجاريةُ فقالت: يا أهلَ الدار، الصلاة الصلاة. فقال: أصبحنا؟ أَطَلَعَ الفجرُ؟ فقالت: وما تُصلُّون إلا المكتوبة؟! قالوا: نعم. فرجعت إلى الحسن فقالت: يا مولاي بعتني من قوم لا يُصلُّون إلا المكتوبة؛ رُدَّني. فَرَدَّها.

قال الربيعُ: بتُّ في منزل الشَّافعيِّ ﷺ ليالي كثيرة، فلم يكن ينام من اللَّيل إلا يسيرًا.

وكان أبو حذيفة يُحيى نصفَ الليل، فمرَّ بقوم فقالوا: إنَّ هذا يُحْيى الليلَ كلَّه. فقال: إنِّي أستحيي أن أُوصَفَ بما لا أفعلُ. فكان بعد ذلك يحيى الليلَ كلَّه.

ويقالُ إنَّ مالك بن دينار ﷺ بات يُرَدِّدُ هذه الآيةَ ليلةً حتى أصبح: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾(٣).

---

(١) إحياء علوم الدين، الإمام أبو حامد الغزالي ٢/٤٥٢.

(٢) المرجع السابق ٢/٤٥٢.

(٣) سورة الجاثية، الآية: ٢١.

وقال المغيرةُ بن حبيب: رمقتُ مالك بن دينار رحمه الله فتوضَّأ بعد العشاء ثم قام إلى مُصَلَّاه فقبضَ على لحيته فخنقته العبرةُ فجعل يقول: اللهم حَرِّمْ شيبةَ مالك على النار، إلهي قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار، فأيُّ الرجلين مالك، وأيُّ الدَّارين دار مالك؟! فلم يزل يقول ذلك حتى طلع الفجر.

وقال مالك بنُ دينار رحمه الله: سهرت ليلة عن وِرْدي ونمتُ فإذا أنا في المنام بجارية كأحسن ما يكون وفي يدها رقعة، فقالت لي: أَتُحْسنُ تقرأ؟ فقلت: نعم. فَدَفَعَتْ إليَّ الرُّقْعة؛ فإذا فيها:

أألهتك اللذائذُ والأماني
عن البيض الأوانس في الجنان

تعيش مخلدًا لا موت فيها
وتلهو في الجنان مع الحسان

تَنَبَّه من منامك إنَّ خيرًا
من النوم التهجُّد بالقُرَان[1]

وعن برد مولى ابن المسيَّب رحمه الله قال: ما نودي للصَّلاة منذ أربعين سنة إلا وسعيد في المسجد.

وعن مسلمة بن محارب قال: قدم عروةُ بن الزُّبير على الوليد بن عبد الملك ومعه ابنه محمد بنُ عروةَ، فدخل محمدُ بنُ عروة دارَ الدَّوابّ فضربته دابة فخرَّ، فحُمل ميتًا، ووقعت في رجل عروة الأكلةُ ولم يدع تلك الليلة وردَه، فقال له الوليد: اقطعها. قال: لا. فترقَّت إلى ساقه، فقال له الوليد: اقطعها وإلا أفسدت عليك جسدَك، فقطعت بالمنشار وهو شيخ كبير، فلم يمسكه أحد، وقال: لقد لقينا من سفرنا هذا نصبًا.

وقال محمدُ بنُ عُبَيْد: لم يترك عروةُ بن الزُّبير وردَه إلا في الليلة التي قُطعت فيها رجلُه؛ قال وتَمَثَّلَ بأبيات معن بن أوسٍ:

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ١/٣٥٥.

لعمـــرك مـــا أهويـــتُ كفّـــي لريبـــة
ولا حملـــتني نحـــو فاحـــشة رجلـــي
ولا قـــادني سمعـــي ولا بـــصري لهـــا
ولا دَلَّـــني رأيـــي عليهـــا ولا عقلـــي
وأعلـــم أنـــي لم تـــصبني مـــصيبة
مـــن الـــدَّهْر إلا قـــد أصـــابت فتـــىً قبلـــي

وكـان الحسنُ يصلّي، فإذا أعيي صَلّى قائمًا، فإذا فَتَرَ صَلّى مضطجعًا(٢).

وكان مسروق بن عبد الرحمن بن الأجدع يقوم من الليل، وكانت زوجته تبكي عليه رحمة مما يصنع بنفسه، فقد كان يصلي وإن رجلاه لمنتفختان من طول القيام، وما كان يأتي فراشه إلا زحفاً كما يزحف البعير.

وكان أصحاب الربيع بن خثيم يعرفون أنه قام الليل ولم ينم بجمته، فإذا أتى إلى الصباح يقولون: والله إن جمة الربيع لتخبركم أنه لم يتوسدها الليلة، فإنها نفس الشعر الذي فارقناه في صلاة العشاء.

وحسان بن أبي سنان تقول عنه زوجه: كان يأتي إلى فراشي فيدخل معي في فراشي ثم يخادعني كما تخادع المرأة صبيها، فإذا علم أني قد نمت قام وسل نفسه إلى صلاة الليل.

ومنصور بن المعتمر: كان يقوم الليل إلى الصباح فوق سطح منزله، فلما مات قالت فتاة لأمها: يا أماه! المشحب الذي كان على سطح جارنا ما لي لم أره الليلة؟ فقالت: قد مضى إلى ربه.

والإمام الأوزاعي رحمه الله: بات يوماً عند جاره، فلما خرج من البيت رأت

---

(١) حلية الأولياء، أبو نعيم ١٧٨٢٢/٢.

(٢) مختصر قيام الليل، أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي ص ٦٣.

زوجة صاحب البيت بللاً في مصلى الأوزاعي، فعاتبت زوجها، وقالت له: ثكلتك أمك! تركت الصبيان حتى بالوا في مصلى الشيخ، فقال: والله ما هذا بول الصبيان، وإنما هذا من أثر دموع الشيخ ليلاً(١).

وعبد الرحمن بن مهدي رحمه الله يقول: ما صحبت رجلاً من الناس أرق من سفيان الثوري، كنت أرمقه الليلة بعد الليلة ويقوم من نومه فزعاً ويقول: اللهم لو كان لي عذر في التخلي عن الناس ما أقمت مع الناس طرفة عين، ومتى الخلاص من النار؟ اللهم إن كلاً يغدو ويروح وإن حاجة سفيان أن تغفر له ذنبه.

ومحمد بن سيرين رحمه الله يقول: من يدلني على بسام بالنهار بكاء بالليل وأنا أدعو له. فقد كان كثير التبسم للناس، فإذا أوى إلى الفراش فكأنه قتل أهل القرية جميعاً.

وكانت حفصة بنت سيرين رحمها الله إذا قامت إلى صلاة الليل لبست كفنها، فربما انطفأ مصباح البيت فيوقد لها مصباح آخر، وجلست في مصلاها اثنتا عشرة سنة وما خرجت إلا لقائلة، أو لحاجة زوج(٢).

وأم الدرداء الصغرى كانت مع نساء متعففات معها يقمن الليل، فما يركعن الركعة الأولى إلا بعد قراءة سورة الأنعام، وإن أرجلهن لمنتفخات من أثر القيام.

وكانت منيفة العابدة إذا قامت إلى صلاتها من الليل تقول: بخ بخ! يا نفس قد جاء سرور المؤمن، فإذا قامت إلى صلاتها تقول: لا تأنسن بمن توحشك نظرته فتمنعن من التذكار في الظلم واجهد وكد وكن في الليل ذا شذم يسقيك كأس وداد العز والكرم فإذا أسفر الصباح بكت وقالت: واحرباه!

---

(١) مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة المقدسي ص ٢٣٨، ط/٢، دار الكتب الإسلامية، القاهرة: ١٩٨٩م.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٣٩.

واسلباه! ذهب الظلام بأنسه ليت الظلام بأنسه يتجدد.

وعلي بن بكار رحمه الله عَمِيَ من طول البكاء، وكان يقول: منذ أربعين سنة ما أحزنني إلا أذان الفجر لأنه يقطع علي الصلاة مع الله عز وجل)[١].

دخل أحمد بن أبي الحواري على أبي سليمان الداراني فوجده يبكي في وقت السحر، قال: ما يبكيك يا أبا سليمان؟! قال: وكيف لا أبكي وإنه إذا كان مثل هذا الوقت من الليل قام العابدون إلى محاريبهم، وتقطرت دموعهم على خدودهم، وأشرف الجليل من السماء وقال: بعيني من تلذذ بذكري واستراح لأنسي، لما لا تنادي فيهم يا جبريل ما هذا البكاء، هل رأيتم حبيباً يعذب أحبابه، أم كيف يجمل بي أن آخذ قوماً إذا جنهم الليل تملقوا إليّ بالدعاء؟ فبي حلفت: إن وردوا عليّ يوم القيامة لأكشفنّ لهم عن وجهي الجميل حتى ينظروا إليّ وأنظر إليهم.

قال عمر بن ذر رحمه الله: اعملوا لأنفسكم رحمكم الله في هذا الليل وسواده، فإن المغبون من غبن خير الليل والنهار، والمحروم من حرم خيرهما، وإنما جعلا سبيلاً للمؤمنين إلى طاعة ربهم، ووبالاً على الآخرين للغفلة عن أنفسهم، فأحيوا لله أنفسكم بذكره فإنما تحيا القلوب بذكر الله، كم من نائم في هذا الليل قد ندم على طول نومه عندما يرى من كرامة الله - عز وجل - للعابدين غدًا، فاغتنموا عمر الساعات والليالي والأيام يرحمكم الله[٢].

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: صلوا ركعتين في ظلم الليل لظلمة القبور[٣].

وقد عجب أحمد بن حرب رضي الله عنه من نوم النائمين وغفلة الغافلين فقال: عجبت لمن يعلم أن الجنة تزين فوقه، والنار تضرم تحته، كيف ينام بينهما؟[٤].

---

(١) أولئك الأخيار، عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن القاسم، سلسلة أين نحن من هؤلاء ص ٤٥، ط/١، دار القاسم، الرياض.

(٢) حلية الأولياء، أبو نعيم، ١٠٩/٥.

(٣) جامع العلوم والحكم، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، ص ٢٦٤.

(٤) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، ٤٣٥/٤.

ولذلك تجدهم يستعدون لليل ويفرحون بإقباله ويغتمون بإدباره، فكان عمر بن ذر إذا نظر إلى الليل قد أقبل قال: جاء الليل، ولليل مهابة، والله أحق أن يهاب[١].

وما ذاك إلا من توقير الله ورغبة فيما عنده، وهم أقوام وصفهم الفضيل بن عياض بقوله: أدركت أقوامًا يستحيون من الله في سواد الليل من طول الهجعة إنما هو على الجنب فإذا تحرك قال: ليس هذا لك، قومي خذي حظك من الآخرة[٢].

وهو كما ذكر عبد الرحمن بن يزيد بن جابر حين قال: كنا نغازي عطاء الخراساني وننزل متقاربين، فكان يحيي الليل ثم يخرج رأسه من خيمته فيقول: يا عبد الرحمن، يا هشام بن الغار، يا فلان، قيام الليل وصيام النهار أيسر من شرب الصديد، ولبس الحديد، وأكل الزقوم، فالنجاة النجاة)[٣].

سفر الليل لا يطيقه إلا مضمر المجاعة، النجائب في الأول وحاملات الزاد في الأخير[٤].

قال الحسن رحمه الله: ما نعلم عملاً أشد من مكابدة الليل ونفقة المال، فقيل له ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوهًا؟ قال: لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورًا من نوره[٥].

---

(١) حلية الأولياء، أبو نعيم، ٥/١١١.

(٢) صفة الصفوة، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، ٢/٢٤١.

(٣) سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، حسين الأسد ٦/١٤٣، ط/ مؤسسة الرسالة: ١٤٠١هـ.

(٤) الفوائد، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن القيم ص ٦٧، ط/٢، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

(٥) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، ١/٢٢٠.

وهذه المجاهدة والمكابدة في أول الأمر ثم تتبدل إلى محبة وشوق، فقد عرف عن ثابت البناني أنه يقوم الليل ويصوم النهار، وكان يقول: ما شيء أجده في قلبي ألذ عندي من قيام الليل.

وقوام الليل يحبون – مثلنا – النوم والراحة والدعة ولكنهم نفضوا غبار الكسل واستحثوا الخطى وقووا العزائم فهذا عبد العزيز بن رواد إذا جن عليه الليل يأتي فراشه فيمر يده عليه ويقول: إنك للين، والله إن في الجنة لألين منك، ولا يزال يصلي الليل كله[١].

خرج سليمان التيمي إلى مكان يصلي الصبح بوضوء عشاء الآخرة وكان يأخذ بقول الحسن؛ إنه إذا غلب النوم على قلبه توضأ»[٢].

إن جهاد النفس جهاد طويل وطريق صعب يحتاج إلى صبر ومثابرة، فقد كان صفوان بن سليم في الصيف يصلي في البيت وإذا كان في الشتاء صلى في السطح لئلا ينام[٣].

وهذا الجهاد والحرص على القيام يكون بأجمل هيئة وأحسن زينة.. فكان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله له قلنسوة خاطها بيده، فيها قطن فإذا قام الليل لبسها[٤].

قم في الدجى واتل الكتاب ولا تنم
إلا كنومة حائر ولهان
فلربما تأتي المنية بغتة
فتساق من فرش إلى الأكفان

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، ٤٢٠/١.

(٢) حلية الأولياء، أبو نعيم، ٢٩/٣.

(٣) المرجع السابق، ١٥٩/٣.

(٤) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢٠٦/١١.

يـا حبـذا عينـان في غسق الـدجى
مـن خشية الـرحمن باكيتـان

ومجاهدة النفس صعبة المنال في البداية ولكنها سهلة الانقياد بالإصرار والعزيمة في النهاية كما ذكر ذلك ثابت البناني بقوله: كابدت الصلاة[١] عشرين سنة وتنعمت بها عشرين سنة[٢].

وكانت أم الربيع بن خثيم إذا رأت قلقه بالليل قالت: يا بني لعلك قتلت قتيلاً، فيقول... يا أماه قتلت نفسي[٣].

وقالت أم عزوان له: أما لفراشك عليك حق؟! أما لنفسك عليك حق؟ قال: يا أماه... إنما أطلب راحتها، أبادر طي صحيفتي[٤].

أما شداد بن أوس فإنه إذا دخل الفراش يتقلب على فراشه لا يأتيه النوم، فيقول: اللهم إن النار أذهبت النوم فيقوم فيصلي حتى يصبح[٥].

ورغبة في الخير العظيم والجزاء الأكمل... صام منصور بن المعتمر أربعين سنة وقام ليلها وكان يبكي، فتقول له أمه: يا بني قتلت قتيلاً؟ فيقول: أنا أعلم بما صنعت بنفسي، فإذا كان الصبح، كحل عينه، ودهن رأسه، وبرق شفتيه وخرج إلى الناس[٦].

وكان بشر الحافي لا يزال مهمومًا فقيل له في ذلك، فقال: إني مطلوب وكان لا ينام الليل. . وكان يقول: أخاف أن يأتيني أمره وأنا نائم[٧].

---

(١) أي صلاة آخر الليل.

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٥/٢٢٤، صفة الصفوة، عبد الرحمن بن الجوزي، ٣/٢٦٠.

(٣) المدهش، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ص ٤٤٣، ضبطه وصححه: د. مروان قباني، ط/٢، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٥هـ.

(٤) مختصر قيام الليل، أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي ص ٢٧.

(٥) صفة الصفوة، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ١/٧٠٩.

(٦) سير أعلام النبلاء، الذهبي ٥/٤٠٦ .

(٧) الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح، محمد بن محمد بن يوسف الجزري، تحقيق: محمد بسيوني ص ١٨، ط/١، دار الكتاب العربي، بيروت: ١٤٠٦هـ.

وقالت ابنة لعامر بن عبد قيس: ما لي أرى الناس ينامون ولا أراك تنام؟ فقال: يا بنية إن جهنم لا تدع أباك ينام[١].

ألا يا عين ويحك أسعديني
بطول الدمع في ظلم الليالي
لعلك في القيامة أن تفوزي
بخير الدهر في تلك العلالي[٢]

وقال مالك بن دينار رحمه الله: لو استطعت أن لا أنام لم أنم، مخافة أن ينزل العذاب وأنا نائم، ولو وجدت أعوانًا لفرقتهم ينادون في منار الدنيا كلها يا أيها الناس: النار النار[٣].

وحتى سماع هذه النذير إذا بقي الأمر دون جد ووثبة قوية فهو كما قال هرم بن حبان: لم أر مثل النار نام هاربها ولم أر مثل الجنة نام طالبها[٤].

تيقظ لساعات من الليل يا فتى
لعلك تحظى في الجنان بحورها
فقم فتيقظ ساعة بعد ساعة
عساك توفي ما بقي من مهورها

وقيام الليل منة من الله تعالى وفضل منه على عباده الصالحين الذين يسر لهم أسباب القيام وأعانهم عليه.

قال أبو سفيان الداراني رحمه الله: من صفى صفي له، ومن كدر كدر عليه. ومن أحسن في ليله كوفئ في نهاره ومن أحسن في نهاره كوفئ في ليله[٥].

---

(١) الزهد، الإمام أحمد بن حنبل، دراسة وتحقيق محمد السعيد ص ٣١٦، ط/١، دار الكتاب العربي، بيروت: ١٤٠٦هـ.
(٢) صفة الصفوة، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ٤/ ٥٩.
(٣) المرجع السابق، ٣/ ٢٨٦.
(٤) الزهد، الإمام أحمد بن حنبل، ٣٣٢.
(٥) صيد الخاطر، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ص ٣٤، ط/٢، دار الكتاب العربي، بيروت: ١٤٠٧هـ.

وقد ذكر إبراهيم بن شماس أحمد بن حنبل فقال: كنت أعرف أحمد بن حنبل وهو غلام وهو يحيي الليل[١].

وبمقارنة سريعة نرى أن أكثر القوام هم من الشيوخ والكهول.. فأين نصيب الشباب من ذلك؟... وهو سن الصحة والقوة والنشاط. مقارنة بذلك الجسم النحيل الضعيف، الذي احدودب ظهره، وضعفت قوته، وارتعشت أطرافه.. ورغم كل ذلك نجده يقوم لله عابدًا راكعًا، ساجدًا.

قال شميط بن عجلان رحمه الله موضحًا ذلك التفاوت: إن الله - عز وجل- جعل قوة المؤمن في قلبه ولم يجعلها في أعضائه، ألا ترون أن الشيخ يكون ضعيفًا يصوم الهواجر ويقوم الليل، والشاب يعجز عن ذلك..[٢].

وكان بعض العلماء قد جاوز المائة سنة وهو ممتع بقوته وعقله، فوثب يومًا وثبة شديدة، فعوتب في ذلك فقال: هذه جوارح حفظناها عن المعاصي في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر[٣].

ويروى أن طاوسًا جاء في السَّحَر يطلب رجلاً فقالوا: هو نائم، قال: ما كنت أرى أن أحدًا ينام في السَّحَر[٤].

إذا ما الليل أظلم كابدوه
فيسفر عنهم وهم ركوع

أطار الخوف نومهم فقاموا
وأهل الأمن في الدنيا هجوع

لهم تحت الظلام وهم سجود
أنين منه تنفرج الضلوع[٥]

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٨/١١.

(٢) صفة الصفوة، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، ٣٤١/٣، حلية الأولياء، أبو نعيم ١٣٠/٣.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، ٢٢٦.

(٤) صفة الصفوة، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، ٢٨٥/٢.

(٥) المرجع السابق ٢٨٥/٢.

أما عمرو بن دينار فإنه جزأ الليل ثلاثة أجزاء، ثلثًا ينام، وثلثًا يدرس حديثه، وثلثًا يصلي[١].

وهذا كمال الاستفادة من الوقت، ونرى اليوم من أضاع نهاره ثم هو في الليل بين نائم أو قائم على منكر تارك لواجب، لأن النوم والسهر فيما لا فائدة منه مضيعة لأوقات محسوبة باللحظات والأنفاس.

كان أسيد رضي الله عنه إذا أوى إلى فراشه يتقلب كالحبة على المقلى ويقول: إنك لين، وفراش ألين منك ولا يزال راكعًا وساجدًا إلى الصباح[٢].

ولم يكن أمام أعينهم هدف سوى الوصول إلى مرضاة الله ودخول جنات عدن، فانظر إلى صنيعهم كما قال عبد الله بن داود: كان أحدهم إذا بلغ أربعين سنة طوى فراشه كان لا ينام الليل[٣].

وهم كما قال فيهم القائل:

ألستم خير من ركب المطايا

وأندى العالمين بطون راح؟[٤]

قال إبراهيم التيمي رحمه الله: «كم بينكم وبين القوم، أقبلت عليهم الدنيا فهربوا، وأدبرت عنكم فاتبعتموها»[٥].

فالدنيا مضمار سباق وقد انعقد الغبار وخفي السابق، والناس في المضمار بين فارس وراجل وأصحاب حمر معقرة[٦].

ذات ليلة زار قيس بن مسلم، محمد بن جحادة، فأتاه وهو في المسجد بعد

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٥/٣٠٢.

(٢) الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح، محمد بن محمد بن يوسف الجزري، تحقيق: محمد بسيوني، ص٢٠.

(٣) إحياء علوم الدين، أبوحامد الغزالي، ٤/٤٣٥.

(٤) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي ١/١٤١، ط/ دار إحياء التراث العربي.

(٥) الفوائد، بن قيم الجوزية، ص ٦٥.

(٦) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٥/٦١، حلية الأولياء، أبو نعيم ٤/٢١٢.

صلاة العشاء، ومحمد قائم يصلي، فقام قيس بن مسلم في الناحية الأخرى يصلي، فلم يزالا على ذلك حتى طلع الفجر، وكان قيس بن مسلم إمام مسجده، فرجع إلى الحي فأمهم، ولم يلتقيا، ولم يعلم محمد مكانه، فقال بعض أهل المسجد: زارك أخوك قيس بن مسلم البارحة فلم تنفتل إليه. قال: ما علمت مكانه، فغدا عليه فلما رآه قيس بن مسلم مقبلاً قام إليه فاعتنقه، ثم خلوا جميعًا فجعلا يبكيان(١).

حدث المغيرة بن حبيب فقال: يموت مالك بن دينار وأنا معه في الدار لا أدري ما عمله! قال: فصليت معه العشاء الآخرة ثم جئت فلبست قطيعة في أطول ما يكون الليل، قال: وجاء مالك فقرب رغيفه فأكل ثم قام إلى آخر الصلاة فاستفتح ثم أخذ بلحيته فجعل يقول: إذا جمعت الأولين والآخرين فحرم شيبة مالك بن دينار على النار، فوالله مازال كذلك حتى غلبتني عيني، ثم انتبهت فإذا هو على تلك الحال يقدم رجلاً ويؤخر رجلاً، ويقول يا رب إذا جمعت الأولين والآخرين فحرم شيبة مالك بن دينار على النار، فما زال كذلك حتى طلع الفجر(٢).

لما عرف الموفقون قدر الحياة الدنيا وقلة المقام فيها أماتوا فيها الهوى طلبًا لحياة الأبد، ولما استيقظوا من نوم الغفلة استرجعوا بالجد ما انتهبه العدو منهم في زمن البطالة، فلما طالت عليهم الطريق فلمّحوا المقصد، فقرب عليهم البعيد، وكلما أمرت لهم الحياة حلي لهم تذكر: ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾(٣)، (٤).

قيل لبعضهم: كيف الليل عليك؟ فقال: ساعة أنا فيها بين حالتين، أفرح

---

(١) صفة الصفوة، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، ٣/١٢٧.
(٢) حلية الأولياء، أبو نعيم، ٢/٣٦١.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٣.
(٤) الفوائد، ابن قيم الجوزية، ٦٠.

بظلمته إذا جاء وأغتم بفجره إذا طلع، ما تم فرحي به قط[١].

وقال وهب بن الورد رحمه الله في نداء حار وكلمات مؤثرة: إن استطعت ألا يسبقك إلى الله أحد فافعل[٢].

وذكر أن عامرًا لما حضر جعل يبكي.. فقالوا: ما يبكيك يا عامر؟! قال: ما أبكي جزعًا من الموت ولا حرصًا على الدنيا ولكني أبكي على ظمأ الهواجر وقيام الشتاء[٣].

ولما رأى المتيقظون سطوة الدنيا بأهلها، وخداع الأمل لأربابه، وتملك الشيطان وقيادة النفوس، ورأوا الدولة للنفس الأمارة لجئوا إلى حصن التضرع والالتجاء[٤].

قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: أفضل الأعمال في الميزان أثقلها على الأبدان، ومن وفى العمل وفي له الأجر، ومن لم يعمل رحل من الدنيا إلى الآخرة بلا قليل ولا كثير[٥].

فعن القاسم بن راشد الشيباني قال... كان رفعة بن صالح نازلاً عندنا، وكان له أهل وبنات وكان يقوم فيصلي ليلاً طويلاً، فإذا كان السحر نادى بأعلى صوته...

يا أيها الركب المعرسونا

أكل هذا الليل ترقدونا؟

ألا تقومون فتصلونا؟

قال.. فيتواثبون؛ من هنا باكٍ، ومن ههنا داعٍ، ومن ههنا قارئ، ومن ههنا متوضئ، فإذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته عند الصباح يحمد

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي، ١/٤٢٣.

(٢) رهبان الليل، سيد بن الحسين العفاني، ط/١، مكتبة ابن تيمية ط١، ١٤٠٧هـ، ص ٣٦.

(٣) الزهد، الإمام أحمد بن حنبل ٣٢٣.

(٤) الفوائد، ابن قيم الجوزية، ص ٦٢.

(٥) الزهد، البيهقي ٢٨٢.

القوم السرى[١].

امنـــــع جفونـــــك أن تـــــذوق منامـــــا
وذر الـــــدموع علـــــى الخـــــدود ســـــجاما
واعلـــــم بأنـــــك ميـــــت ومحاســـــب
يـــــا مـــــن علـــــى ســـــخط الجليـــــل أقامـــــا
لله قـــــوم أخلـــــصوا في حبـــــه
فرضـــــي بهـــــم واختـــــصهم خـــــداما
قـــــوم إذا جـــــن الظـــــلام علـــــيهم
بـــــاتوا هنالـــــك ســـــجدًا وقيامًـــــا
خمـــــص البطـــــون مـــــن التعفـــــف ضـــــمرا
لا يعرفـــــون ســـــوى الحـــــلال طعامـــــا

وحين تزوج رياح القسي امرأة فبنى بها فلما أصبح قامت إلى عجينتها، فقال: لو نظرت إلى امرأة تكفيك هذا، فقالت: إنما تزوجت رياحًا القسي ولم أرني تزوجت جبارًا عنيدًا، فلما كان الليل نام ليختبرها، فقامت ربع الليل ثم نادته، قم يا رياح، فقال: أقوم، فلم يقم، فقامت الربع الآخر ثم نادته فقالت: قم يا رياح، فقال: أقوم. فلم يقم، فقامت الربع الآخر ثم نادته فقالت: قم يا رياح، فقال: أقوم. فقالت: مضى الليل وعسكر المحسنون وأنت نائم، ليت شعري من غرني بك يا رياح، قال: وقامت الربع الباقي[٢].

وانتبهت امرأة حبيب العجمي بن محمد ليلة وهو نائم، فأنبهته في السحر، وقالت له: قم يا رجل فقد ذهب الليل وجاء النهار وبين يديك طريق بعيد وزاد

(١) صفة الصفوة، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، ٢/٢٢٩.

(٢) صفة الصفوة، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، ٤/٤٤٤.

قليل، وقوافل الصالحين قد سارت، ونحن قد بقينا[١].

فطالب الله والدار الآخرة لا يستقيم له سيره وطلبه إلا بحبسين: حبس قلبه في طلبه ومطلوبه، وحبسه عن الالتفات إلى غيره، وحبس لسانه عما لا يفيد، وحبسه على ذكر الله وما يزيد في إيمانه ومعرفته، وحبس جوارحه عن المعاصي والشهوات وحبسها على الواجبات والمندوبات، فلا يفارق الحبس حتى يلقى ربه فيخلصه من السجن إلى أوسع فضاء وأطيبه[٢].

قالت امرأة حسان بن أبي سنان: كان يجيء فيدخل معي في فراشي، ثم يخادعني كما تخادع المرأة حبيبها، فإذا علم أني نمت سل نفسه فخرج ثم يقوم فيصلي، فقلت له: يا أبا عبد الله كم تعذب نفسك؟ ارفق بنفسك فقال: اسكتي ويحك يوشك أن أرقد رقدة لا أقوم منها زمانًا[٣].

إنما يقطع السفر ويصل المسافر.. بلزوم الجادة وسير الليل، فإذا حاد المسافر عن الطريق ونام الليل كله فمتى يصل إلى مقصده[٤]؟

عباد ليل إذا جن الظلام بهم
كما عابد دمعه في الخد أجراه
وأسد غاب إذا نادى الجهاد بهم
هبوا إلى الموت يستجدون رؤياه
يا رب فابعث لنا من مثلهم نفرًا
يشيدون لنا مجدًا أضعناه

---

(١) المرجع السابق، ٣٥/٤.

(٢) الفوائد، ابن القيم، ٧١.

(٣) حلية الأولياء، أبو نعيم، ١١٧/٣، الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح، محمد بن محمد بن يوسف الجزري، تحقيق: محمد بسيوني ص ١٨.

(٤) الفوائد، ابن قيم الجوزية، ١٣١.

كان للحسن بن صالح جارية فباعها من قوم، فلما كان جوف الليل، قامت الجارية، فقالت: يا أهل الدار الصلاة، فقالوا: أصبحنا؟، أطلع الفجر؟ فقالت: وما تصلون إلا المكتوبة؟، قالوا: نعم، فرجعت إلى الحسن فقالت: يا مولاي بعتني لمن قوم لا يصلون إلا المكتوبة، ردني فردها(١).

عن إبراهيم بن وكيع قال: كان أبي يصلي، فلا يبقى في دارنا أحد إلا صلى حتى جارية لنا سوداء(٢).

فالمنافق تشق عليه الطاعة وترهقه العبادة.. ولكن أهل الخير والصلاح لا ينامون. وكيف ينام من يترقب حلول المساء ويفرح بانقطاعه في العبادة؟ كما قال الفضيل بن عياض: إذا غربت الشمس فرحت بالظلام لخلوي بربي، وإذا طلعت، حزنت لدخول الناس عليَّ(٣).

وروي عن ابن أبي ذئب أنه كان يصلي الليل أجمع، ويجتهد في العبادة ولو قيل له: إن القيامة تقوم غدًا، ما كان فيه مزيد من الاجتهاد. .(٤).

يروى أن ضيغم قد تعبد قائمًا حتى أقعد، ومقعدًا حتى استلقى، ومستلقيًا حتى مات وهو ساجد، وكان يقول في دعائه: «اللهم إني أحب لقاءك لقائي»(٥).

أما الإمام أبو حنيفة رحمه الله فقد كان يحيي نصف الليل، فمر بقوم فقالوا إن هذا يحيي الليل كله، فقال: إني أستحيي أن أوصف بما لا أفعل، فكان

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي، ١/٤٢٠.

(٢) سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، ٩/١٤٩، صفة الصفوة، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، ٣/١٧١.

(٣) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي، ١/٤٢٣.

(٤) سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، ٧/١٤١.

(٥) الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح، محمد بن محمد بن يوسف الجزري، تحقيق: محمد بسيوني ص ١٨.

بعد ذلك يحيي الليل كله، ويروى أنه ما كان له فراش[١].

وكان بشر بن المفضل يلقي للفضيل حصيرًا بالليل في مسجده فيصلي من أول الليل ساعة، حتى تغلبه عينه، فيلقي نفسه على الحصير فينام قليلاً ثم يقوم، فإذا غلبه النوم نام، ثم يقوم، وهكذا حتى يصبح[٢].

إياك والغفلة عمن جعل لحياتك أجلاً ولأيامك وأنفاسك أمدًا ومن كل ما سواه بد ولابد لك منه[٣].

قال أبو الجويرية: لقد صحبت أبا حنيفة -رضي الله عنه- ستة أشهر فما رأيته فيها ليلة وضع جنبه على الأرض[٤].

أما إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله فهو كما قال عنه ابنه عبد الله: كان أبي يقرأ كل يوم سُبعًا، وكان ينام نومة خفيفة بعد العشاء، ثم يقوم إلى الصباح يصلي ويدعو...[٥].

ونحن نلحظ عبادة الصالحين، وتتوالى علينا صور الأخيار العابدين نرى المزيد من حياتهم ومحافظتهم على هذه الحياة والاستفادة منها الاستفادة الكاملة... لعلمهم أنها دار العمل.. فاليوم عمل ولا حساب وغدًا حساب ولا عمل.

ومن خلال ما سبق يظهر بجلاء هدي الصحابة رضي الله عنهم والتابعين رحمهم الله في قيام الليل والحرص عليه.

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي، ٤٢٠/١.

(٢) صفة الصفوة، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، ٢٣٨/٢.

(٣) الفوائد، ابن القيم ١٢٩.

(٤) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي، ٤٢٠/١.

(٥) سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، ٢١٤/١١.

المبحث الخامس

آداب وأحكام قيام الليل

وقيام الليل له هذه الأهمية الكبيرة والفضل العظيم في حياة المسلم، ومن ثم يجب معرفة بعض الآداب والأحكام المتعلقة بقيام الليل، ونوردها فيما يلي:

١/ الأفضل في وقت قيام الليل:

الأفضل في صلاة الليل الثلث الأخير لأنه وقت نزول الرب جل وعلا، وجاء عن جابر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((من خاف أن لا يقوم آخر الليل فليوتر أوله، ومن طمع أن يقوم آخره فليوتر آخر الليل فإن صلاة آخر بالليل مشهودة وذلك أفضل)) [(١)]. وقال أبو معاوية محضورة.

ومن قام أول الليل أو أوسطه فلا مانع من ذلك وفي كل خير غيرَ أن آخر الليل أفضل لأنه الأمر الذي استقر عليه فعل النبي ﷺ وذهب أكثر أهل العلم إلى أن الوتر من بعد صلاة العشاء، سواء جمعت جمع تقديم مع المغرب، أو أخرت إلى منتصف الليل، وأما قبل صلاة العشاء فلا يصح).

وعلى هذا فأفضل أوقات قيام الليل الثلث الآخر، وصلاة الليل تجوز في أوله، وأوسطه، وآخره؛ لحديث أنس رضي الله عنه قال: ((كان رسول الله ﷺ يفطر من الشهر حتى نظن أن لا يصوم منه، ويصوم حتى نظن أن لا يفطر، وكان لا تشاء أن تراه من الليل مصلياً إلا رأيته، ولا نائماً إلا رأيته))[(٢)]. وهذا يدل على التيسير، فعلى حسب ما تيسر للمسلم يقوم، ولكن الأفضل أن يكون القيام في الثلث الآخر من الليل؛ لحديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه أنه سمع النبي

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: من خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر أوله، برقم ٧٥٥ .

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: التهجد، باب قيام النبي ﷺ الليل من نومه وما نسخ من قيام الليل، برقم ١١٤١.

ﷺ يقول: ((أقرب ما يكون الربُّ من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن))(١).

ومما يزيد ذلك وضوحاً حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ((ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟ [فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر]))(٢).

وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إن في الليل لساعةً لا يوافقها عبدٌ مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه، وذلك كل ليلة))(٣).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال له: ((أحبُّ الصلاة إلى الله صلاةُ داود عليه السلام، وأحبُّ الصيام إلى الله صيامُ داود عليه السلام، وكان ينام نصفَ الليل، ويقوم ثلثه، وينام سُدسَه، ويصوم يوماً ويُفطر يوماً، ولا يفرُّ إذا لاقى))(٤). وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((إن كان رسول الله ﷺ ليوقظه الله من الليل فما يجيء السَّحر حتى يفرغ من حزبه))(٥).

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب: الدعوات، باب: في دعاء الضيف، برقم ٣٥٧٩، وأبو داود بنحوه، كتاب: التطوع، باب من رخص فيها إذا كانت الشمس مرتفعة، برقم ١٢٧٧، والنسائي، كتاب: المواقيت، باب: النهي عن الصلاة بعد العصر، برقم ٥٧٢، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ١٨٣/٣.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: التهجد، باب: الدعاء والصلاة من آخر الليل، برقم ١١٤٥، وأخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، باب: الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه، برقم ٧٥٨.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: في الليل ساعة مستجاب فيها الدعاء، برقم ٧٥٧.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: التهجد، باب: من نام عند السحر، برقم ١١٣١، و١٩٧٩، وأخرجه مسلم، كتاب: الصيام، باب: النهي عن الصوم الدهر، برقم ١١٥٩.

(٥) أخرجه أبو داود، كتاب: التطوع، باب: وقت قيام النبي ﷺ من الليل، برقم ١٣١٦، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٢٤٤/١.

٢/ عدد ركعات قيام الليل:

وعدد ركعات قيام الليل، ليس له عددٌ مخصوص؛ لقول النبي ﷺ: ((صلاة الليل مثنى مثنى، فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى))(١). ولكن الأفضل أن يقتصر على إحدى عشرة ركعة؛ أو ثلاث عشرة ركعة، لفعل النبي ﷺ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كان رسول الله ﷺ يصلي ما بين أن يفرغ من صلاة العشاء إلى الفجر إحدى عشرة ركعة يسلّم بين كل ركعتين ويوتر بواحدة))(٢)؛ ولحديثها الآخر: ((ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة))(٣).

ومن هذا يظهر أن السنة ثبتت عن النبي ﷺ من غير وجه أنه لا يزيد في قيام الليل لا في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة.

قال ابن عبد البر رحمه الله: (وأكثر الآثار على أن صلاته ﷺ كانت إحدى عشرة ركعة)(٤).

وذكر الإمام ابن عبد البر رحمه الله إجماع العلماء على هذا فقال:

(وقد أجمع العلماء على أن لا حدّ ولا شيء مقدراً في صلاة الليل وأنها نافلة

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الوتر، باب: ما جاء في الوتر، برقم ٩٩٠، و أخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، باب: صلاة الليل مثنى مثنى، والوتر ركعة من آخر الليل، برقم ٧٤٩.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، باب: صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ في الليل وأن الوتر ركعة وأن الركعة صلاة صحيحة، رقم الحديث، ٧٣٦.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: التهجد، باب: قيام النبي ﷺ بالليل في رمضان وغيره، برقم ١١٤٧، ومسلم، كتاب: صلاة المسافرين، باب: صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ، برقم ٧٣٨.

(٤) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض ٥/٢٣٦، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

فمن شاء أطال فيها القيام وقلت ركعاته ومن شاء أكثر الركوع والسجود)[١].

غير أن البحث عن الراجح والعمل بالأفضل مطلب من مطالب الشريعة، وقد بينت السنة بفعل النبي ﷺ الذي داوم عليه حتى فارق الحياة وجرى عليه عمل أصحابه من بعده أن قيام الليل إحدى عشرة ركعة في رمضان وغيره.

٣/ كيفية صلاة الليل:

ذهب الإمام مالك[٢]. والشافعي[٣]. وأحمد[٤]. وطائفة من السلف إلى أن صلاة الليل مثنى مثنى إلاّ ركعة الوتر، على خلاف بينهم هل هذا على الوجوب أم على الاستحباب. وحجتهم في هذا ما جاء عن سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: إن رجلا قال يا رسول الله كيف صلاة الليل قال: ((مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بواحدة)) [٥].

وقوله: (مثنى مثنى) معدول عن اثنين اثنين، والمراد أن تسلم في كل ركعتين قيل وجوباً وقيل استحباباً. قال أحمد فيمن قام في التراويح إلى ثالثة: يرجع وإن قرأ، لأن عليه تسليماً، ولابد. للخبر. وعنه يصح مع الكراهة. ذكره جماعة، وهو المشهور، سواء علم العدد أو نسيه) وعنه لا يكره وهو

---

(١) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، (٢٤٤/٥).

(٢) المرجع السابق، (٢٣٧/٥ – ٢٤٩ – ٢٥٥).

(٣) المجموع شرح المهذب، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ط/٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م، (٤٩/٤ – ٥١).

(٤) مسائل الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، إسحاق بن منصور المروزي، ط/١، عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٢م، ٢٩٦/٢.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب: أبواب التهجد، باب: كيف كان صلاة النبي ﷺ وكم كان النبي ﷺ يصلي من الليل، برقم ١٠٨٦.

مذهب أبي حنيفة قال رحمه الله في صلاة الليل (إن شئت ركعتين وإن شئت أربعاً وإن شئت ستاً وثمانياً لا تسلم إلا في آخرهن) [١].

والأفضل في مذهبه صلاة أربع بسلام واحد لخبر عائشة رضي الله عنها في الصحيحين حين سألها أبو سلمة بن عبد الرحمن: كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ في رمضان ؟ فقالت ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة يصلي أربعا فلا تسل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي أربعا فلا تسل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثا. قالت عائشة فقلت يارسول الله أتنام قبل أن توتر؟. فقال: ((يا عائشة إن عيني تنامان ولا ينام قلبي)) [٢].

٤/ نية قيام الليل:

ومن الآداب أن ينوي عند نومه قيام الليل وينوي بنومه التَّقوِّي على الطاعة ليحصل على الثواب على نومه؛لحديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: ((ما من امرئ تكون له صلاة بليل فغلبه عليها نوم إلا كتب الله له أجر صلاته،وكان نومُه صدقةً عليه)) [٣]؛ ولحديث أبي الدرداء رضي الله عنه يبلغ به النبي ﷺ قال: ((من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فغلبتْهُ عيناه حتى أصبح، كُتبَ له ما نوى، وكان نومُهُ صدقةً عليه من ربه عز وجل)) [٤].

---

(١) البناية شرح الهداية، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد الحنفى بدر الدين العيني، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٠ هـ/٢٠٠٠م، (٢/٦١٣) .

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: أبواب التهجدباب قيام النبي ﷺ بالليل في رمضان وغيره، برقم ١٠٩٦. وأخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ، برقم ٧٣٨ .

(٣) أخرجه النسائي، كتاب: قيام الليل وتطوع النهار، باب: من كان له صلاة بالليل فغلبه عليها النوم، برقم ١٧٨٤، وقال الألباني: حديث صحيح، انظر: صحيح سنن النسائي، ص ٢٨٩، رقم ١٧٨٤.

(٤) أخرجه النسائي، كتاب: قيام الليل وتطوع النهار، باب: من أتى فراشه وهو ينوي القيام فنام، برقم ١٧٨٧، وقال الألباني: حديث صحيح، انظر: صحيح سنن النسائي، الألباني، ص ٢٩٠، رقم ١٧٨٧..

٥/ مسح النوم عن الوجه وذكر الله:

يمسح النوم عن وجهه عند الاستيقاظ، ويذكر الله، ويشوص فاه بالسواك ويقول: ((لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ربِّ اغفر لي))؛ لحديث عبادة بن الصامت ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((من تعارَّ من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللهم اغفر لي، أو دعا استجيب له))(١).

وفي حديث ابن عباس ﷺ قال: ((... استيقظ رسول الله ﷺ فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده ثم قرأ العشر الآيات الخواتيم من سورة آل عمران...))(٢)، وعن حذيفة ﷺ قال: ((كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك))(٣)، ويقول أذكار الاستيقاظ من النوم الأخرى، ويتوضأ كما أمره الله تعالى.

٦/ افتتاح التهجد بركعتين خفيفتين:

ومن آداب قيام الليل أن يفتتح تهجّدَه بركعتين خفيفتين؛ لفعل النبي ﷺ وقوله، لحديث عائشة ﷺ قالت: ((كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل ليصلي افتتح صلاته بركعتين خفيفتين))(٤)؛ ولحديث أبي هريرة ﷺ عن

(١) أخرجه البخاري، كتاب: التهجد، باب: فضل من تعار من الليل فصلى، برقم ١١٥٤.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، باب: صلاة النبي ﷺ ودعائه بالليل، برقم ٧٦٣.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: الغسل، باب: السواك، برقم ٢٤٥، ومسلم، كتاب: الطهارة، باب السواك، برقم ٢٥٤.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، باب: صلاة النبي ﷺ ودعائه بالليل، برقم ٧٦٧.

النبي ﷺ قال: ((إذا قام أحدكم من الليل فليفتتح صلاته بركعتين خفيفتين))(١).

٧/ التهجد في البيت:

ويُستحبُّ أن يكون تهجدُه في بيته؛ لأن النبي ﷺ كان يتهجَّد في بيته؛ ولحديث زيد بن ثابت رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((...فعليكم بالصلاة في بيوتكم، فإن خير صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة))(٢).

٨/ المداومة على قيام الليل:

المداومة على قيام الليل وعدم قطعه، يُستحب أن يكون للمسلم ركعات معلومة يداوم عليها، فإذا نشط طوَّلها وإذا لم ينشط خفَّفها، وإذا فاتته قضاها؛ لحديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: ((خذوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يملُّ حتى تملّوا)) وكان يقول: ((أحب العمل إلى الله ما داوم عليه صاحبه وإن قلّ))(٣)؛ ولحديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال لي النبي ﷺ: ((يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل))(٤)؛ ولحديث عائشة رضي الله عنها قالت: ((... وكان رسول الله ﷺ إذا صلى صلاة أحبّ أن يداوم عليها، وكان إذا غلبه نوم أو وجع عن قيام الليل صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة)) (٥).

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، باب: صلاة النبي ﷺ ودعائه بالليل، برقم ٧٦٨.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الأدب، باب: مَا يَجُوزُ مِنَ الْغَضَبِ وَالشِّدَّةِ لأَمْرِ اللَّهِ، برقم ٦١١٣، وأخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد، برقم ٧٨١ .

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: اللباس، باب: الجلوس على الحصير، برقم ٥٥٢٣ .

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: التهجد، باب: ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه، برقم ١١٥٢، وأخرجه مسلم، كتاب: الصيام، باب: النهي عن صوم الدهر، برقم (١١٥٩) .

(٥) أخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض، برقم ٧٤٦ .

٩/ إذا غلبه النعاس يترك الصلاة:

ومن آداب قيام الليل أنه إذا غلبه النعاس ينبغي له أن يترك الصلاة وينام حتى يذهب عنه النوم؛ لحديث عائشة ﵂ أن النبي ﷺ قال: ((إذا نعس أحدُكم في الصلاة فليرقدْ حتى يذهب عنه النوم؛فإن أحدَكم إذا صلى وهو ناعس لعله يذهب يستغفر فيسبّ نفسه))(١)؛ ولحديث أبي هريرة ﵁ يرفعه: ((إذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القرآن على لسانه فلم يدرِ ما يقول فليضطجع))(٢).

١٠/ الجهر والإسرار في القراءة:

وأما الجهر بالقراءة والإسرار بها في قيام الليل، فعن عائشة ﵂ أنها سُئلت عن قراءة النبي ﷺ بالليل يجهر أم يسرّ؟ فقالت: ((كل ذلك قد كان يفعل، ربما جهر وربما أسرَّ))(٣). وعن أبي قتادة ﵁ أن النبي ﷺ قال لأبي بكر: ((يا أبا بكر، مررت بك وإنك تصلي تخفضُ صوتك)) قال: قد أسمعتُ من ناجيتُ يا رسول الله، قال: ((ارفع قليلاً)) وقال لعمر: ((مررت بك وأنت تصلي رافعاً صوتك)) فقال: يا رسول الله! أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان، قال: ((اخفض قليلاً))(٤).

وعن عائشة ﵂ أن النبي ﷺ سمع رجلاً يقرأ من الليل، فقال: ((يرحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا، آية كنت أسقطتها من سورة كذا وكذا))

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد أو يقعد حتى يذهب عنه ذلك، برقم ٧٨٦.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد أو يقعد حتى يذهب عنه ذلك، برقم ٧٨٧ .

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب: الوتر، باب: في وقت الوتر، برقم ١٤٣٧، وقال الألباني: حديث صحيح، انظر: صحيح سنن أبي داود، الألباني، ص ٢٢٣، رقم ١٤٣٧.

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب: التطوع، باب: رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل، برقم ١٣٢٩، والترمذي، كتاب: الصلاة، باب: ما جاء في القراءة بالليل، برقم ٤٤٧، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٢٤٧/١.

وفي لفظ: ((كان النبي ﷺ يستمع قراءة رجل في المسجد فقال: ((رحمه الله لقد أذكرني آية كنت أُنسيتها))[١].

والقرآن إذا صلَّى به الحافظ له بالليل والنهار ذكره، لحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت))[٢].

١١/ طول القيام مع كثرة الركوع والسجود:

طول القيام مع كثرة الركوع والسجود هو الأفضل في صلاة الليل ما لم يشق ذلك أو يسبب الملل؛ لحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ((أفضل الصلاة طول القنوت...))[٣].

واختلف العلماء – رحمهم الله –؛ في أيهما أفضل:طول القيام مع قلة السجود، أو كثر السجود مع قصر القيام؟

فمنهم من قال: كثرة السجود والركوع أفضل من طول القيام، واختارها طائفة من أصحاب الإمام أحمد؛ لأحاديث فضل السجود آنفة الذكر.

ومنهم من قال: إنهما سواء. ومنهم من قال: طول القيام أفضل من كثرة الركوع والسجود؛ لحديث جابر المذكور آنفاً: ((أفضل الصلاة طول القنوت))[٤].

قال الإمام النووي رحمه الله: ((المراد بالقنوت هنا القيام باتفاق العلماء فيما علمت))[٥].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: من لم ير بأساً أن يقول سورة البقرة، وسورة كذا وكذا، وأخرجه مسلم، واللفظ له في كتاب فضائل القرآن، باب: الأمر بتعهد القرآن، وكراهة قول نسيت آية كذا، وجواز قول أُنسيتها، برقم ٧٨٨.

(٢) البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: استذكار القرآن وتعاهده، برقم ٥٠٣١، ومسلم، كتاب: صلاة المسافرين، باب: الأمر بتعهد القرآن، برقم ٧٨٩.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، باب: أفضل الصلاة طول القنوت، برقم ٧٥٦.

(٤) الحديث السابق.

(٥) شرح صحيح الإمام مسلم، النووي ٦/٢٨١.

واختار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: أن تطويل الصلاة قياماً وركوعاً وسجوداً أولى من تكثيرها قياماً وركوعاً وسجوداً[١].

وقال الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله: (قد تنازع أهل العلم في أيهما أفضل: طول القيام مع قلة السجود، أو كثرة السجود مع قصر القيام، منهم من فضل هذا ومنهم من فضل هذا، وكانت صلاة الرسول ﷺ معتدلة إن أطال القيام أطال السجود والركوع، وإن قصر القيام قصر الركوع والسجود، وهذا أفضل ما يكون. والأفضل أن يصلي المسلم ما يستطيع، حتى لا يمل، فإذا ارتاحت نفسه للتطويل أطال، وإن ارتاحت نفسه للتقصير قصر إذا رأى أن التقصير أخشع له وأقرب إلى قلبه وراحة ضميره وتلذذه بهذه العبادة، وكلما كثرت السجدات كان أفضل، فإن استطاع المسلم ذلك فالأفضل طول القيام مع كثرة الركوع والسجود يجمع بين الأمرين، وهي صلاة معتدلة إن أطال القيام أطال الركوع والسجود وإن قصر قصر

وعلى هذا فالأفضل في حقنا القصد وعدم التطويل الذي يشق علينا حتى لا نمل، وحتى لا نفتر من العبادة، فالمؤمن يصلي ويجتهد ويتعبد لكن من غير مشقة، بل يتوسط في الأمور حتى لا يمل العبادة)[٢].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ٢٣/٧١.

(٢) قيام الليل: فضله، وآدابه، والأسباب المعينة عليه في ضوء الكتاب والسنة، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ط/١، مؤسسة الجريسي، الرياض: ١٤٢١هـ، ص ٣٧.

المبحث السادس

الأسباب الميسرة لقيام الليل

إن اللهَ تعالى جعل لكلِّ شيء سببًا، وقيامُ الليل له أسبابٌ تعين عليه؛ فمن أراد أن يقومَ فلا بُدَّ أن يأخذَ بالأسباب التي تعينه، وتُمَكِّنُه من القيام، ومن أبرز ذلك:

١/ الاستعانةُ بالله تعالى:

فكما أنَّ جميعَ الأمور من عبادات وأخلاق وأمور معاشٍ تتطلَّبُ الاستعانةَ بالله سبحانه، فإنَّ قيامَ اللَّيل من ألزمها؛ وذلك أنَّ صاحبَه ومريدَه يهمُّ به وهو مستيقظٌ، فإذا نامَ تمكَّنَ الشَّيطانُ منه وعقد على قافيته بثلاثِ عقد، فإذا كان العبدُ مستعينًا بالله كان اللهُ له عونًا على عَدَوِّه إبليس؛ فلا يجعلُ له سلطانًا عليه ما دام على ربِّه متوكِّلاً وبه مستعينًا؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾[1]. وإن العبدَ لَيستعينُ بالله عدَّةَ مرات في اليوم والليلة حينما يقرأُ الفاتحة، ويردد قول الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾[2]. فعلى المسلم أن يستحضرَ طلبَ الاستعانة حين يقرأ هذه الآية؛ ولا سيَّما في أولِ القيام؛ فإنَّه شاقٌّ إلا على من استعان بالله، وليتذكر المسلم قوله تعالى وهو يجاهدُ نفسَه على القيام: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[3].

٢/ محبَّةُ الله والتَّعَلُّقُ به سبحانه وتعالى:

لأن مَنْ أَحَبَّ أحدًا حرص على لقائه وحديثه والاستماع إليه؛ فلا يشكر

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٩ .

(٢) سورة الفاتحة، الآية: ٥ .

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩ .

إلا لـه، ولا يـأنسُ إلا بحديثـه، فـإذا تحدَّثَ غيرُه لم يـزدْ لحـديث ربّـه إلّـا حبًّـا وتعلُّقًا وشوقًا.

وعلـى هـذا فـإنَّ مـن يحـبُّ اللّهَ ويحـرصُ علـى لقائـه وعلـى مقـدار مـا يُكِنُّ العبدُ من محبة لربّه، وما يُقِرُّ في قلبـه مـن حبّ الله يكـونُ حبُّـه للقائـه وشـوقُه لموعد نزوله وأنسُه بحديثه. وكلٌّ واحد يختلفُ عن الآخـر في حرصـه علـى لقـاءِ اللّه؛ فمـنهم مـن يقـومُ لـه ثُلُثَ الليـل، ومـنهم مـن يقـومُ رُبعَـه، ومـنهم مـن يقـومُ سـاعةً، ومنهم مـن يقـومُ نـصفَها وربعَهـا وعـشرَها، وهـؤلاء يختلفـون في محبَّتهم للّه كـلٌّ بحـسبِ عملـه؛ وكيـف يُثبـتُ العبـدُ محبَّتَـه للّه ويَـدَّعي ذلـك وهـو عـن لقائه غافلٌ ولمناجاته قالٍ، ولكلامه هاجرٌ؟!

فالكـلُّ عنـد الادّعـاء يـدَّعي محبـةَ اللّه؛ ولكـن عنـد الجـزاء لا يُقـرُّ اللّهُ لمدَّعي محبَّته؛ وإنما يقرُّ لأهل طاعته ورضاه، جعلنا اللّهُ منهم. وعلـى هـذا فمـن ينامُ ملءَ جَفنيه ثـم يَدَّعي أنَّـه يحـبُّ اللّهَ أكثرُ ممَّن يَهْجُرُ فراشَـه وراحتَـه إلى لقـاء ربّـه ومناجاتـه؛ إنَّ مَـنْ يكـون هـذه حالـه لا يمكـن أن يكـونَ يحـبُّ ربَّـه أكثر، واللّهُ – سبحانه – أعلمُ بأهل محبته.

٣/ معرفة فضل قيام الليل:

ومما يعين على قيام الليـل معرفـة فـضل قيـام الليـل، ومنزلـة أهلـه عنـد اللّه تعالى، وما لهم من السعادة في الـدنيا والآخـرة، وأن لهـم الجنـة، وقـد شـهد اللّه لهم بالإيمان الكامل، وأنهم لا يستوون هـم والـذين لا يعلمـون، وأن قيـام الليـل مـن أسـباب دخـول الجنـة، ورفـع الـدرجات في غرفهـا العاليـة، وأنـه مـن صـفات عباد اللّه الـصالحين، وأن شـرف المـؤمن قيـام الليـل، وأنـه ممـا ينبغـي أن يغـبط عليه الإنسان المؤمن.

٤/ معرفة كيد الشيطان، وتثبيطه عن قيام الليل:

ومما يعين على قيام الليل معرفة كيد الشيطان، وتثبيطه عن قيام الليل، والترهيب من ترك قيام شـيء مـن الليـل؛ لحـديث عبـد اللّه بـن مـسعود رضي الله عنه قـال:

ذُكرَ عند النبي ﷺ رجل نام ليلة حتى أصبح قال: ((ذاك رجل بال الشيطان في أذنه))، أو قال: ((في أذنيه))(١)؛ ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عُقدٍ، يضرب على مكان كل عقدة :عليك ليل طويل فارقُدْ، فإن استيقظ فذكر الله انحلَّت عقدة، فإن توضأ انحلَّت عقدة، فإن صلى انحلَّت عُقَدُهُ، فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان))(٢).

ولحديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله ﷺ: ((يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم من الليل فترك قيام الليل))(٣)، ولحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه رأى رؤيا فقصها على أخته حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها فقصَّتها على رسول الله ﷺ فقال: ((نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل)) فكان بعدُ لا ينام من الليل إلا قليلاً))(٤).

٥/ قصر الأمل وتذكر الموت:

فإنه يدفع على العمل ويذهب الكسل؛لحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: ((كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل)). وكان ابن عمر يقول: ((إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك))(٥).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: التهجد، باب: إذا نام ولم يصل بال الشيطان في أذنه، برقم ١١٤٤، وكتاب بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده، برقم ٣٢٧٠، وأخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، باب: الحث على صلاة الليل وإن قلت، برقم ٧٧٤.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: التهجد، باب: عقد الشيطان، على قافية الرأس إذا لم يصلِّ بالليل، برقم ١١٤٢، وأخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، باب: الحث على صلاة الليل، برقم ٧٧٦.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: التهجد، باب: ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه، برقم ١١٥٢. وأخرجه مسلم، كتاب: الصيام، باب: النهي عن صوم الدهر، برقم ١٨٥- (١١٥٩).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب التهجد ،باب فضل قيام الليل، برقم ١١٢١، ١١٢٢، وأخرجه مسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما برقم ٢٤٧٩.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: قول النبي ﷺ: ((كن في الدنيا كأنك غريب)) برقم ٦٤١٦.

قال الإمام البخاري رحمه الله:

اغتنم في الفراغ فضل ركوع ... فعسى أن يكون موتك بغتة

كم صحيح رأيت من غير سقم ... ذهبت نفسه الصحيحة فلتة(١)

ولما نُعي إليه عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي الحافظ أنشد:

إن عشت تفجع بالأحبة كلهم ... وبقاء نفسك لا أبا لك أفجع(٢)

وقال آخر:

صلاتك نورٌ والعباد رقودٌ ... ونومك ضد للصلاة عنيد

وعمرك غُنمٌ إن عقلت ومهلةٌ ... يسيرُ ويفنى دائباً ويبيد(٣)

وقال بعض الصالحين:

عجبتُ من جسمٍ ومن صحةٍ ... ومن فتىً نام إلى الفجر

فالموتُ لا تؤمن خطفاتُهُ ... في ظلم الليل إذا يسري

من بين منقول إلى حفرةٍ ... يفترش الأعمال في القبر

وبين مأخوذٍ على غِرَّةٍ ... بات طويل الكبر والفخرِ

عاجله الموتُ على غفلةٍ ... فمات محسوراً إلى خسر(٤)

---

(١) هدي الساري مقدمة صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط/٢، دار الفكر، بيروت: ١٤٢٢هـ، ص٤٨١.

(٢) المرجع السابق، ص٤٨١.

(٣) التهجد وقيام الليل، أبو بكر عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس القرشي ابن أبي الدنيا، تحقيق: : مصلح بن جزاء بن فدغوش الحارثي، ط/١، مكتبة الرشيد – الرياض، ١٩٩٨م،ص٣٢٩.

(٤) مختصر قيام الليل، محمد بن نصر المروزي، دار حاديث أكاديمي – باكستان: ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، ص٩٢.

٦/ اغتنام الصحة والفراغ:

ومن الأسباب المعينة على قيام الليل اغتنام الصحة والفراغ؛ ليكتب له ما كان يعمل؛ لحديث أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((إذا مرض العبد أو سافر كُتب له مثلُ ما كان يعمل مقيماً صحيحاً))(١). فينبغي للعاقل أن لا يفوته هذا الفضل العظيم، فيجتهد في حال الصحة، والفراغ، والإقامة في الأعمال الصالحة حتى تكتب له إذا عجز أو شُغل؛ ولهذا قال النبي ﷺ: ((نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس: الصحة والفراغ))(٢).

وعن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لرجلٍ وهو يعظه: ((اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك))(٣).

٧/ الحرص على النوم مبكراً:

ليأخذ قوة ونشاطاً يستعين بذلك على قيام الليل وصلاة الفجر؛ لحديث أبي برزة ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يكره النوم قبل العشاء، والحديث بعدها))(٤).

قال الترمذي رحمه الله: (وقد اختلف أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: يكتب للمسافر ما كان يعمل في لإقامة، برقم ٢٩٩٦.

(٢) البخاري، كتاب: الرقاق، باب: ما جاء في الصحة والفراغ ولا عيش إلا عيش الآخرة، برقم ٦٤١٢.

(٣) أخرجه الحاكم، وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، ٣٠٦/٤، وابن المبارك في الزهد، ١٠٤/١، برقم ٢، من حديث عمرو بن ميمون مرسلاً، وقال ابن حجر في فتح الباري، ٢٣٥/١١ ((...أخرجه ابن المبارك في الزهد بسند صحيح من مرسل عمرو بن ميمون)) فمرسل عمرو بن ميمون شاهد لرواية الحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، ٣٥٥/٢، برقم ١٠٨٨.

(٤) أخرجه البخاري بلفظه، كتاب مواقيت الصلاة، باب: ما يكره من النوم قبل العشاء، برقم ٥٦٨، وأخرجه مسلم بمعناه، كتاب: الصلاة، باب: القراءة في الصبح، برقم ٤٦١.

والتابعين ومن بعدهم في السَّمَر بعد صلاة العشاء الآخرة، فكره قوم منهم السَّمَر بعد صلاة العشاء ورخص بعضهم إذا كان في معنى العلم وما لابد منه من الحوائج وأكثر الحديث على الرخصة، قد روى عن النبي ﷺ قال: لا سمر إلا لمصلٍّ أو مسافر) (١).

قال صاحب تحفة الأحوذي رحمه الله: (وطريق الجمع بينهما - أي قولى الكراهة والجواز للسمر بعد العشاء - أن تُحمل أحاديث المنع على السَّمَر الذي لا يكون لحاجة دينية ولا لما لابد منه من الحوائج، وقد بوَّب البخاري رحمه الله في صحيحه: بابٌ السَّمَر في العلم، وقال العيني في شرح البخاري: نبه على أن السَّمَر المنهى عنه إنما هو فيما لا يكون من الخير وأما السَّمَر بالخير فليس بمنهي بل هو مرغوب فيه) (٢).

وهذا الجمع هو المتعين ولا شك أن السمر بعد العشاء قد يمنع من قيام الليل خاصةً لو كان فيما لا ينفع وربما يضر، والأولى لكل صاحب قلب حي أن يقدر المصلحة وينظر فيما ينفعه، والذي يريد قيام الليل ومناجاة الحبيب تعالى ينبغي له أن لا يضيع وقته فيما لا ينفع بل يضن عليه أن يذهب سدى وهباءً منثوراً.

٨/ الحرص على آداب النوم:

وذلك بأن ينام على طهارة، وإن لم يكن على طهارة توضأ، وصلى ركعتين سنة الوضوء، ثم يدعو بما ثبت من أذكار النوم، ويجمع كفيه ثم ينفث فيهما ويقرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ اللَّه أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفلق﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الناس﴾، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على

---

(١) الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: : أحمد محمد شاكر وآخرون، ط/١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٣١٥/١.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، ٢٣١/٢.

رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات، ويقرأ آية الكرسي، والآيتين من آخر سورة البقرة، ويكمل أذكار النوم، وهذا يكون من أسباب الإعانة على قيام الليل، وعليه أن يأخذ بالأسباب بأن يضع ساعة عند رأسه تنبهه، أو يوصي من حوله من أهله، وأقاربه، أو جيرانه، أو زملائه أن يوقظوه)(١).

٩/ الاستعانة بالقيلولة:

والقيلولة: النوم في الظهيرة على ما ذكره أهل اللغة. قال الشربيني الخطيب: القيلولة هي النوم قبل الزوال. وقال العيني: القيلولة معناها النوم في الظهيرة.

وقال المناوي رحمه الله: القيلولة: النوم وسط النهار عند الزوال وما قاربه من قبل أو بعد.

وكان الإمام أحمد رحمه الله يقول: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قيلوا فإن الشيطان لا تقيل، ونوم القيلولة ـ خاصة في الصيف لاشتداد الحر ـ يعين على قيام الليل، وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً عند ابن ماجه وغيره بإسناد فيه ضعف: " استعينوا بطعام السَّحَر على صيام النهار والقيلولة على قيام الليل يعني الصلاة فيه. وهو التهجد وما في معناه من ذكر وقراءة فإن النفس إذا أخذت حظها من نوم النهار استقبلت السهر بنشاط وقوة انبساط، فأفاد ندب التسحر والنوم وسط النهار وبقصد التقوي على الطاعة.

وقال الشربيني الخطيب: يسن للمتهجد القيلولة وهي النوم قبل الزوال وهي بمنزلة السحور للصائم) (٢).

---

(١) قيام الليل: فضله، وآدابه، والأسباب المعينة عليه في ضوء الكتاب والسنة، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ص ٤٥.

(٢) رهبان الليل، د. سيد بن حسين العفاني، ط/٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة: ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص ٥٥.

١٠/ ترك المعاصي والذنوب:

وهو الأصل في تحصيل سائر الخيرات ولن يصل إلى الله أحد بدونها ولن يفتح عليه في أبواب البر والخير إلا بها.

قال الماوردي رحمه الله: (قال حماد بن زيد: عجبت لمن يحتمي من الأطعمة لمضراتها، كيف لا يحتمي من الذنوب لمعراتها. وقال بعض الصلحاء: أهل الذنوب مرضى القلوب، وقيل للفضيل بن عياض رحمه الله: ما أعجب الأشياء؟ فقال: قلب عرف الله عز وجل ثم عصاه. وقال رجل لابن عباس رضي الله عنهما: أيما أحب إليك رجل قليل الذنوب قليل العمل، أو رجل كثير الذنوب كثير العمل؟ فقال ابن عباس رضي الله عنهما: لا أعدل بالسلامة شيئا. وقيل لبعض الزهاد: ما تقول في صلاة الليل ؟ فقال: خف الله بالنهار ونم بالليل. وقيل لأبي هريرة رضي الله عنه: ما التقوى ؟ فقال: أجزت في أرض فيها شوك ؟ فقال: نعم. فقال: كيف كنت تصنع ؟ فقال: كنت أتوقى. قال: فتوق الخطايا) [١].

وقال ابن حجر الهيتمي رحمه الله: (اعلم وفقني الله وإياك لطاعته، وأنالنا من سوابغ رضاه ومهابته أن الله تعالى حذر عباده من معصيته بما أعلمهم به من نواميس ربوبيته وأقامه من سطوات قهره وجبروته ووحدانيته. قال تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [٢]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: يا صاحب الذنب لما تأمن سوء عاقبته ولما يتبع الذنب أعظم من الذنب ؟ وقلة حيائك من ملك اليمين والشمال وأنت على الذنب: - أي بقاؤك عليه بلا توبة - أعظم من الذنب الذي عملته، وفرحك بالذنب إذا ظفرت به أعظم من الذنب، وضحكك وأنت لا تدري ما الله صانع بك أعظم

---

(١) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردي الشافعي، ط/١، دار الكتب الأزهرية، القاهرة، ١٩٨٥م، ص ٣٦١.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٢٣.

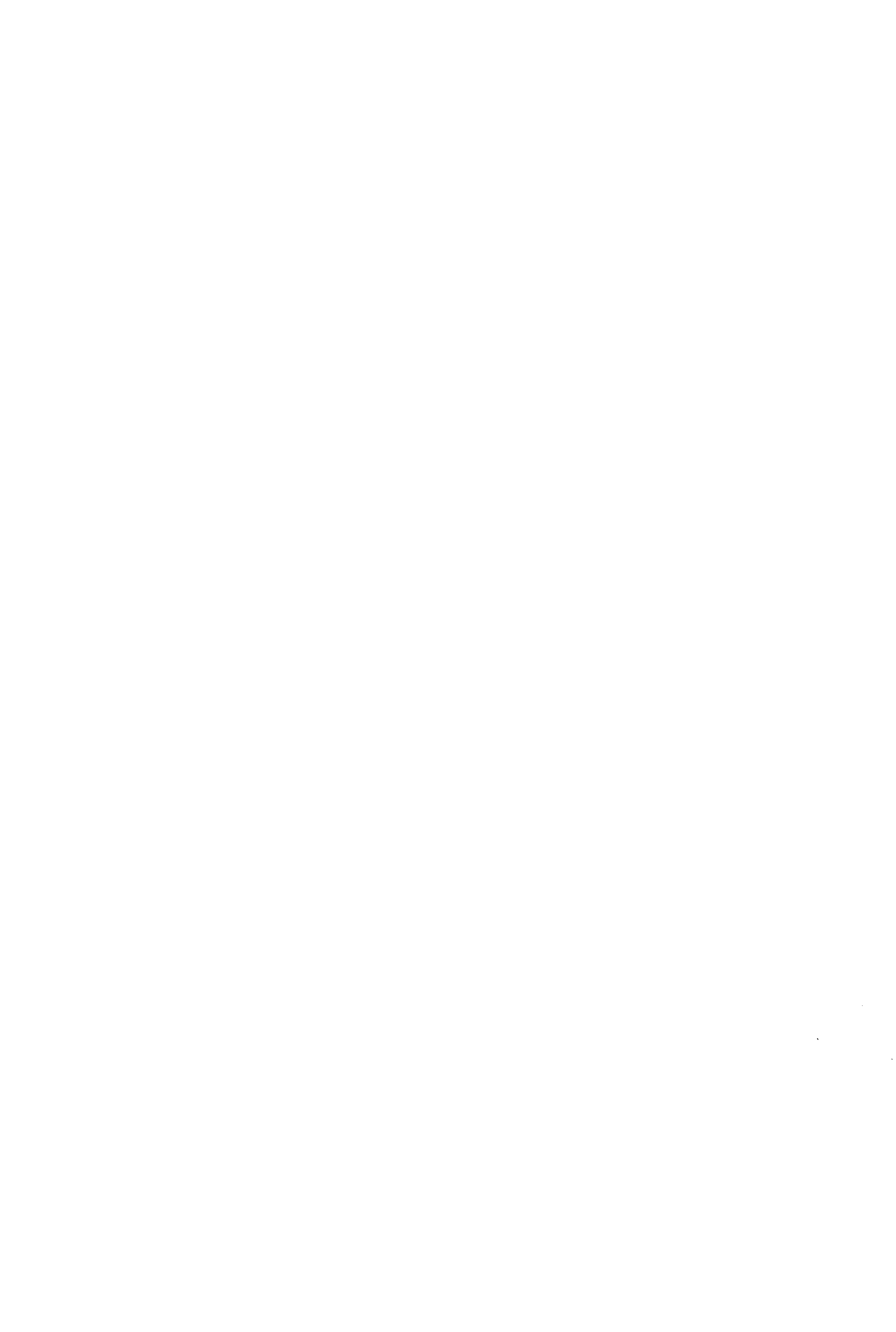
من الذنب، وحزنك على الذنب إذا فاتك أعظم من الذنب، وخوفك من الريح إذا حركت ستر بابك وأنت على الذنب ولا يضطرب فؤادك من نظر الله إليك أعظم من الذنب. وقال بلال بن سعد: لا تنظر إلى صغر الخطيئة ولكن انظر إلى من عصيت. وقال الحسن: يا ابن آدم ترك الخطيئة أيسر من طلب التوبة. وقال محمد بن كعب القرظي: ما عبد الله بشيء أحب إليه من ترك المعاصي.

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: بقدر ما يصغر الذنب عندك يعظم عند الله، وبقدر ما يعظم عندك يصغر عند الله تعالى. وقال حذيفة: إذا أذنب العبد نكت في قلبه نكتة سوداء حتى يصير قلبه كله أسود، ويؤيده قول السلف: المعاصي بريد الكفر أي رسوله باعتبار أنها إذا أورثت القلب هذا السواد وعمته لم يبق يقبل خيرا قط، فحينئذ يقسو ويخرج منه كل رحمة ورأفة وخوف فيرتكب ما أراد ويفعل ما أحب، ويتخذ الشيطان وليا من دون الله ويضله ويغويه ويعده ويمنيه، ولا يرضى منه بدون الكفر ما وجد له إليه سبيلا) (١).

وآثار المعاصي على الإنسان كثيرة جدا ولا شك أن منها حرمان الطاعة وقيام الليل من الطاعات الجليلة والعبادات الرفيعة ولا يوفق لها إلا الصالحون.

---

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر، أحمد بن محمد بن حجر المكي الهيتمي، ط/١، دار الفكر، بيروت: ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص ١٢٨ .



المبحث السابع
فوائد وآثار قيام الليل

إن قيام الليل له الكثير من الفوائد والآثار التي تعود على المسلم من التزامه بقيام الليل والمداومة والمحافظة عليه، وهذه الآثار منها ما هو في الدنيا، ومنها ماهو في الآخرة، ومن أبرز هذه الآثار:

١/ قيام الليل تحقيق لشكر نعمة الله تعالى:

إن قيام الليل سبيلٌ إلى القيام بشكر نعمة الله على العبد، والشاكرون قد وعدهم الله بالزيادة، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧ ﴾(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كان النبي ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه فقلت له: لم تضع ذلك يا رسول الله وقد غَفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً))(٢).

٢/ قيام الليل ينهي صاحبه عن الذنوب والمعاصي:

إن قيام الليل ينهى صاحبَه عن الذُّنوب والمعاصي وفعل المنكرات، ودليلُ ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ۝٤٥ ﴾(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: ((إن فلانا يصلي

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

(٢) أخرجه البخاري من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، كتاب: أبواب التهجد، باب: قيام النبي ﷺ حتى ترم قدماه، برقم ١٠٧٨، وأخرجه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها، كتاب: صفات المنافقين وأعمالهم، باب: إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، برقم ٢٨٢٠ .

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

بالليل فإذا أصبح سرق قال انه سينهاه ما يقول)) (١).

والصلاةُ مطلقًا تنهى عن الفحشاء؛ ولكنَّ قيامَ اللَّيْل له ميزة في نهي صاحبه؛ لأنَّه حين يقومُ يناجي ربَّه تُعرضُ له أعمالُه فيخاف أن لا يقبل منه بسببها فيترك ما يعملُ من المعاصي.

٣/ قيام الليل يطرد الداء من الجسد:

وقيام الليل أنَّه يطرد الداءَ من الجسد، وأولُ داء يطرده داءُ العجز والكسل؛ فعن أبي إدريس الخولاني رحمه الله عن بلال رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: ((عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وإن قيام الليل قربة إلى الله ومنهاة عن الإثم وتكفير للسيئات ومطردة للداء عن الجسد))(٢).

٤/ قيامُ الليل يورثُ صاحبه لذَّةً في القلب:

قيامُ الليل يورثُ صاحبه لذَّةً في القلب، وقد حكى ذلك كثيرٌ من السَّلَف: قال ابنُ المنكدر رحمه الله: ما بقي من لذَّات الدُّنيا إلا ثلاثٌ: قيامُ الليل، ولقاءُ الإخوان، والصلاةُ في جماعة. وقال أبو سليمان رحمه الله: أهلُ الدُّنيا في ليلهم ألذُّ من أهل اللَّهو في لهوهم، ولولا الليلُ ما أحببتُ البقاءَ في الدُّنيا. وقال آخرُ: لو يعلمُ الملوكُ ما نحن فيه من النَّعيم لجالدونا عليه بالسيوف. وقال آخر: إن لي وردًا بالليل لو تركته لخارت قواي)(٣).

قال الغزاليُّ رحمه الله في بيان ما يعود على قائم الليل من اللَّذَّة: (وأما النقل فيشهد له أحوالُ قُوَّام اللَّيل في تَلَذُّذهم بقيام الليل واستقصارهم له؛ كما يستقصرُ المحبُّ ليلةَ وصال الحبيب؛ حتَّى قيل لبعضهم: كيف أنت والليل؟

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٤٤٧/٢، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين، انظر: الموسوعة الحديثية ٤٨٣/١٥ رقم ٩٧٧٨ .

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب: الدعوات، باب: في دعاء النبي ﷺ، برقم ٣٥٤٩، وقال الشيخ الألباني: حسن صحيح، انظر: (صحيح سنن الترمذي، الألباني ص ٨٠٦ رقم ٣٥٤٩).

(٣) الإبانة عن أسباب الإعانة على صلاة الفجر وقيام الليل، رقية بنت محمد المحارب، ص ٢٥.

قال: ما راعيته فقط يريني وجهه ثم ينصرف وما تأملتهُ بعدُ. وقال آخر: أنا والليل فرسا رهان؛ مرة يسبقني إلى الفجر، ومرة يقطعني عن الفكر. وقيل لبعضهم: كيف الليل عليك؟ فقال: ساعة أنا فيها بين حالتين، أفرح بظلمته إذا جاء، وأَغْتَمُّ بفجره إذا طلع، ما تَمَّ فرحي به قَطُّ. وقال عليُّ بن بكار: منذ أربعين سنة ما أحزنني شيء سوى طلوع الفجر. قال الفضيل بن عياض: إذا غربت الشمسُ فرحتُ بالظلام لخلوتي بربي، وإذا طلعت حزنتُ لدخول الناس علي) [١].

٥/ قيام الليل من أسباب صلاح الأبناء:

صلاحُ الأبناء من نتائج قيام الآباء في الليالي الباردة، فإذا قام العبدُ يصلي يسأل الله أن يصلح له في ذريته ويحفظهم حتى بعد مماته؛ قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ [٢].

لقد رحمهما اللهُ برحمة أبيهما الذي كان يسألُ اللهَ لهما طوالَ حياته الحفظَ والصلاحَ.

٦/ أصحاب قيام الليل يكتسبون نورًا في وجوههم:

إن أصحابُ القيام والتَّهَجُّد على الرّغم من أنَّهم أقلُّ نومًا من غيرهم، إلا أنَّهم يكتسبون نورًا في وجوههم سائر يومهم وعند موتهم، وقد حكى كثيرٌ من السَّلَف أنَّهم يجدون النورَ في وَجْه صاحب القيام في حياته وعندَ مماته؛ قيل للحسن رحمه الله: ما بالُ المتهجِّدين من أحسنِ الناس وجوهًا؟ قال: لأنَّهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورًا من نوره) [٣].

---

(١) إحياء علوم الدين، أبوحامد الغزالي، ٤٢٥/١.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٨٢.

(٣) مختصر قيام الليل، أبي عبد الله محمد بن نصر المروزي، ص (٥٨).

٧/ سعةُ الرزق سمةُ أصحاب القيام:

إن سعة الرزق سمةُ أصحاب القيام؛ يرزقهم الله من حيث لا يحتسبون؛ ذلك لأنهم صبروا على قيام الليل واحتسبوه واتقوا الله – سبحانه وتعالى، وقد وعد الله من اتَّقاه واحتسب عنده الأجر أن يرزقه من حيث لا يحتسب ولا يشعر، ويجعل له مخرجًا من الضيق الذي يُلمُّ به؛ قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣ ﴾ (١).

٨/ قيام الليل من أسباب إجابة الدعاء:

لقد رغب ﷺ في قيام الليل لما فيه من الخير العظيم والإحسان الجزيل فعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إن في الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرًا إلا أعطاه إياه))(٢).

فمن فوائد وآثار قيام الليل أنَّ الإنسان إذا قام الليل سوف يوافق الثلث الأخير من الليل، ربُّنا ربُّ العزَّة تبارك وتعالى ربُّ السماء والأرض ينزل إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل، هذا الوقت الإلهي فعن نافع بن جبير عن أبيه عن النبي ﷺ قال: ((ينزل الله عز وجل في كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول هل من سائل فأعطيه هل من مستغفر فأغفر له حتى يطلع الفجر))(٣).

فمن التجأ إلى الله في هذه الساعة قضى حاجته، وفرج كربته، وشرح صدره، وأزال ضيقه وعسره.

---

(١) سورة الطلاق، الآيتان: ٢، ٣.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: في الليل ساعة مستجاب فيها الدعاء، برقم ٧٥٧.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٨١/٤، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم حماد بن سلمة من رجاله وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين برقم ١٦٧٩١.

٩/ قيام الليل من أسباب محبة الله ورضاه:

ومن فوائد وآثار قيام الليل أنه سببٌ في محبَّة الله لعبده؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ عز وجلّ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطُشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ))(١).

وعن أبي الدرداء ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((ثلاثة يحبُّهم الله، ويَضحك إليهم، ويَستبشر بهم))، ذكَر منهم: ((الذي له امرأة حَسناء وفراشٌ حسنٌ، فيقوم من الليل، فيقول الله: يَذَر شَهوته، فيَذكرني ولو شاء رَقَد، والذي إذا كان في سفرٍ وكان معه رَكْبٌ، فسَهِروا ثم هجَعوا، فقام من السَّحر في ضرَّاءَ وسرَّاءَ))(٢).

وفي مسند إمام أهل السُّنة عن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((عَجِبَ ربُّنا من رجلٍ ثار عن وِطَائه ولِحافه من بين أهله وحِبِّه إلى صلاته، فيقول ربُّنا – تبارك وتعالى –: يا ملائكتي، انظُروا إلى عبدي ثارَ من فراشه ووِطَائه من بين أهله وحَبِّه إلى الصلاة؛ رغبةً فيما عندي، وشفَقةً مما عندي))(٣).

١٠/ قيام الليل من أسباب النجاة من الفتن:

إن الصلاة عموماً، وصلاة الليل خصوصاً سبب من أسباب النجاة من الفتن.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: التواضع، برقم ٦١٣٧.

(٢) أخرجه الحاكم (٢٥/١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٤٧١ ـ ٤٧٢) وأخرجه الطبراني في «الكبير» بإسناد حسن »! وقال الألباني : صحيح (انظر: السلسلة الصحيحة برقم(٣٤٧٨).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٤١٦/١، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن برقم ٣٩٤٩ . وقال **الالباني:** حديث حسن (انظر: صحيح الترغيب والترهيب برقم ٦٣٠) .

فقد جاء في صحيح البخاري عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: استيقظ النبي ﷺ ذات ليلة فقال: ((سبحان الله ماذا أنزل الليلة من الفتن وماذا فتح من الخزائن أيقظوا صواحبات الحجر فرب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة)) (١).

ففي هذا الحديث دليل وتنبيه على أثر الصلاة بالليل في الوقاية من الفتن.

فالصلاة عموماً وصلاة الليل خصوصاً لها أثر كبير في النجاة من الفتن، لأنها من أعظم الأعمال الصالحة، ومن المعلوم أن العمل الصالح سبب للنجاة من الفتن إذا قَدمت وحلت فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافراً أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا)) (٢).

فمن أعظم أسباب الثبات – وأسباب الثبات كثيرة – لكن من أعظمها الصلاة وبالذات صلاة الليل، لأن صلاة الليل دليل الإخلاص ودليل الزهد، وفيها الخلوة بالله تبارك وتعالى، والنتيجة: أن الله يثبته ويعطيه من القوة والنشاط ويعطيه من الإخلاص واليقين ما يثبته أمام الفتن. وما من شك أن فوائد وآثار قيام الليل كثيرة ومتعددة ولكن اكتفينا بذكر أبرزها.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: العلم، باب: العلم والعظة بالليل، برقم ١١٥.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، برقم ١١٨.

الخاتمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خير النبيين وسيد المرسلين، اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى من اتبعه واقتفى أثره إلى يوم الدين وبعد:

فقد ظهر من خلال البحث مشروعية قيام الليل والحثّ عليه، من خلال النصوص الشرعية الكثيرة الواردة التي تحث عليه وتؤكد على أهميته.

وظهر أيضاً فضل قيام الليل من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي بينت فضل أهله، والثواب الذي ينالونه من خلال اجتهادهم في القيام بهذه العبادة الجليلة.

واستبان أيضاً في هذا البحث هدي النبي ﷺ في قيام الليل، وكيف كان يقوم وعدد الركعات، والأوقات التي كان يحرص النبي ﷺ على القيام فيها، ومدى مواظبته ﷺ على ذلك وعدم تفريطه في القيام.

وكذلك ظهر أيضاً هدي الصحابة رضي الله عنهم والتابعين في قيام الليل، وكيف التزموا منهج النبي ﷺ في ذلك، وساروا على طريقه، واستنوا بسنته.

كما كشف البحث عن آداب وأحكام قيام الليل التي ينبغي أن يلتزم بها المسلم ويحرص عليها حتى يقوم الليل على الوجه الصحيح الذي يوافق سنة النبي ﷺ.

كما أبان البحث عن الأسباب الميسرة لقيام الليل، حتى يحرص المسلم على الالتزام بها، ولا تفوته هذه العبادة الجليلة، ويتمكن من مقاومة إغراء الشيطان، ويجاهد النفس ويحملها على قيام الليل.

وأخيراً بين البحث فوائد وآثار قيام الليل حتى تعلو همة المسلم لنيل هذه الفوائد والآثار، والتي تجمع بين خيري الدنيا والآخرة.

هذا وما كان من توفيق فمن الله، وما كان من خلل أو تقصير فمني ومن الشيطان واستغفر الله.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

فهرس المصادر والمراجع

١. الإبانة عن أسباب الإعانة على صلاة الفجر وقيام الليل، رقية بنت محمد المحارب، ط/١، دار بن خزيمة، الرياض، بدون تاريخ.
٢. أحكام القرآن للجصاص، أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، تحقيق: محمد الصادق قمحاوى، ط/ دار احياء التراث العربى، بيروت: ١٤٠٥هـ.
٣. أحكام القرآن، أبو الحسن على بن محمد (المعروف بالكيا هراسى)، تحقيق: موسى محمد على - عزت عبده عطية، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٥هـ.
٤. إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، ط/١، دار المعرفة، بيروت: ١٤٢٤هـ.
٥. أدب الدنيا والدين، أبو الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردي الشافعي، ط/١، دار الكتب الأزهرية، القاهرة: ١٩٨٥م.
٦. الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
٧. الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط/١، دار الجيل، بيروت: ١٤١٢هـ.
٨. إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، العلامة القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي، تحقيق د: يحيى إسماعيل، ط/١، دار الوفاء للطباعة وللنشر والتوزيع؛ المنصورة: ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
٩. أولئك الأخيار، عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن القاسم، "سلسلة أين نحن من هؤلاء" ط/١، دار القاسم، الرياض.

١٠. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، الشيخ أبو بكر جابر الجزائري، ط/٣، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة: ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
١١. البناية شرح الهداية، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد الحنفى بدر الدين العيني، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
١٢. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، ط/١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
١٣. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري أبو العلا، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٤. تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، ط/١، دار الفكر، بيروت: ١٤٢٠ هـ.
١٥. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط/٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
١٦. تفسير آيات الأحكام، محمد علي السايس، ط/ المكتبة العصرية للطباعة والنشر، القاهرة: ٢٠٠٢م.
١٧. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوى ومحمد عبد الكبير البكرى، ط/ مؤسسة القرطبة، بدون تاريخ.
١٨. التهجد وقيام الليل، أبو بكر عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس القرشي ابن أبي الدنيا، تحقيق: مصلح بن جزاء بن فدغوش الحارثي، ط/١، مكتبة الرشيد، الرياض: ١٩٩٨م.

١٩. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
٢٠. التيسير بشرح الجامع الصغير، الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي، ط/٣، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض: ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
٢١. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠ هـ/٢٠٠٠م.
٢٢. الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، ط/١، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٣. جامع العلوم والحكم، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، ط/١، دار المعرفة، بيروت: ١٤٠٨هـ.
٢٤. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة: ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
٢٥. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الحافظ أبو نعيم، ط/ دار الكتاب العربي.
٢٦. الدر المنثور في التفسير بالماثور، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: مركز هجر للبحوث، ط/ دار هجر، مصر: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٢٧. دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي، تحقيق: خليل مأمون شيحا، ط/٤، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت: ١٤٢٥ هـ/٢٠٠٤م.
٢٨. رهبان الليل، د. سيد بن حسين العفاني، ط/٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة: ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٢٩. روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، محمد بن علي الصابوني، ط/٣، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت: ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م.
٣٠. زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، ط/ ٣، المكتب الإسلامي، بيروت: ١٤٠٤هـ.
٣١. زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ط/٢٧، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
٣٢. الزهد، الإمام أحمد بن حنبل، دراسة وتحقيق محمد السعيد، ط/، دار الكتاب العربي: ١٤٠٦هـ.
٣٣. الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح، محمد بن محمد بن يوسف الجزري، تحقيق محمد بسيوني، ط/، دار الكتاب العربي: ١٤٠٦هـ.
٣٤. الزواجر عن اقتراف الكبائر، أحمد بن محمد بن حجر المكي الهيتمي، ط/١، دار الفكر، بيروت: ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
٣٥. سنن ابن ماجة، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، كتب حواشيه: محمود خليل، ط/ مكتبة أبي المعاطي، بدون تاريخ.
٣٦. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، ط/ دار الكتاب العربي، بيروت.
٣٧. سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٣٨. سبل السلام، محمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني الصنعاني، ط/٤، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة: ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م.
٣٩. سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد، ط/ مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٠١هـ.

٤٠. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي، ط/ دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.

٤١. شرح رياض الصالحين، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ط/١، دار السلام، القاهرة: ٢٠٠٢م.

٤٢. شرح سنن أبي داود، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العيني، تحقيق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، ط/١، مكتبة الرشد، الرياض: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٤٣. شرح صحيح البخارى، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، ط/٢، مكتبة الرشد، الرياض: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

٤٤. شرح صحيح مسلم، الإمام محي الدين زكريا بن شرف النووي، ط/ دار الحديث، القاهرة: ٢٠٠٤م.

٤٥. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم الدارمي البُستي، ترتيب: علي بن بلبان بن عبد الله، علاء الدين الفارسي، المنعوت بالأمير، ط/ مؤسسة الرسالة، بيروت.

٤٦. صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، ط/١، دار الشعب، القاهرة: ١٤٠٧ هـ/١٩٨٧م.

٤٧. صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، ط/١، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٤٨. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٩. صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، ط/ المكتب الإسلامي، بيروت.
٥٠. صفة الصفوة، أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، تحقيق محمود فاخوري، ومحمد رواس، ط/ دار المعرفة: ١٤٠٥هـ.
٥١. صيد الخاطر، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، ط/٢، دار الكتاب العربي: ١٤٠٧هـ.
٥٢. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني الحنفي، ط/٢، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة: ١٩٨٤م.
٥٣. غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، ط/٢، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢ م.
٥٤. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: الشيخ عبد العزيز بن باز، ترقيم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، ط/١، دار الريان للتراث، القاهرة.
٥٥. الفوائد، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي بن قيم الجوزية، ط/٢، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.
٥٦. فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد بن عبد الرؤوف بن علي المناوي، ط/١، دار الكتب العلمية بيروت: ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
٥٧. قيام الليل: فضله، وآدابه، والأسباب المعينة عليه في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ط/١، مؤسسة الجريسي، الرياض: ١٤٢١هـ.
٥٨. لطائف المعارف فيما المواسم العام من الوظائف، الإمام الحافظ زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، ط/٥، دار ابن كثير: ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩م.

٥٩. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد ط/١، مكتبة العبيكان، الرياض: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٦٠. المجموع شرح المهذب، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ط/٢، دار الفكر، بيروت: ١٩٩٥م.

٦١. مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، جمع وإشراف: د. محمد بن سعد الشويعر، ط/١، دار القاسم للنشر، الرياض: ١٤٢٠هـ.

٦٢. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط/١، دار الكتب العلميه، بيروت: ١٤١٨هـ.

٦٣. مختصر قيام الليل، شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي، اختصرهما العلامة أحمد بن علي المقريزي، ط/ دار الجيل، بيروت: ١٩٩٥م.

٦٤. مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة المقدسي، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، ط/٢، ١٩٨٩م.

٦٥. المدهش، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، ضبطه وصححه د. مروان قباني، ط/٢، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٥هـ.

٦٦. مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الشيخ أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام المباركفوري، ط/ مصورة عن طبعة إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، الجامعة السلفية، بنارس الهند..

٦٧. مسائل الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، إسحاق بن منصور المروزي، ط/١، عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٢م.

٦٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، تحقيق وتعليق: شعيب الأرنؤوط، ط/ مؤسسة قرطبة، القاهرة.

٦٩. مصنف ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة، مصر..

٧٠. مفاتيح الغيب، الإمام: محمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازي، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت

٧١. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، تحقيق: محي الدين ديب مستو، أحمد محمد السيد، يوسف علي بديوي، محمود إبراهيم بزال، ط/١، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب: ١٩٩٦م/١٤١٧هـ.

٧٢. منحة العلام في شرح بلوغ المرام، د. عبد الله بن صالح الفوزان، ط/١، دار ابن الجوزي: ١٤٢٧ هـ.

٧٣. هدي الساري مقدمة صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط/٢، دار الفكر، بيروت: ١٤٢٢هـ.

فهرس المحتويات

التعريف بالمؤلف

الاسم: أ. د. محمد بن إبراهيم بن سليمان الرومي

الدولة: المملكة العربية السعودية، المدينة: الرياض

الوظيفة: يعمل حاليًا أستاذًا في جامعة الملك سعود

صدر للمؤلف:

١ - فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري (مجلد)، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ (دار كنوز إشبيليا بالرياض)

٢ - صور من الابتلاء في دعوة المصطفى، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ (دار كنوز إشبيليا بالرياض)

٣ - احتياجات معلمي التربية الإسلامية وآثارهم الدعوية، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ (دار كنوز إشبيليا بالرياض)

٤ - الدعوة إلى المضامين الحميدة في الحج، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ (دار كنوز إشبيليا بالرياض)

٥ - المال وأثره في دعم الدعوة الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ (دار كنوز إشبيليا بالرياض)

٦ - المظهر والجوهر في حياة معلم التربية الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ (دار كنوز إشبيليا بالرياض

٧- الاستغفار في حياة الدعاة، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ (دار كنوز إشبيليا بالرياض)

٨ - استخدام الأمثال القرآنية ودورها في التنشئة التربوية، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ (دار كنوز إشبيليا بالرياض

٩ - الدعوة إلى حفظ الفروج في الإسلام، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ (دار كنوز إشبيليا بالرياض)

١٠ - خصائص الأمة الإسلامية ورسالتها الدعوية، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ (دار كنوز إشبيليا بالرياض)

١١ - دعوة السادة والوجهاء، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ (دار كنوز إشبيليا بالرياض)

١٢ - دعوة المؤلفة قلوبهم إلى الإسلام، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ (دار كنوز إشبيليا بالرياض)

١٣- ثقة المسلم بالله تعالى في ضوء الكتاب والسنة، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ (دار كنوز إشبيليا بالرياض)

١٤- رعاية الإسلام للفقراء، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ (دار كنوز إشبيليا بالرياض)



مطبعة النرجس - ت: ٢٣١٦٦٥٣ ف: ٢٣١٦٨٦٦

ردمك ٤_٣١_٨١٢٤_٦٠٣_٩٧٨

